اللغة العربية

إعداد واختيار
قسم اللغة العربية

جامعة الأزهر - غزة
فلسطين

جمادي الآخرة (1426 هـ) سبتمبر (2005 م)
جميع الطبع والتصوير محفوظة لقسم اللغة العربية

اللغةالعربية

إعداد واختيار

قسم اللغة العربية

جامعة الأزهر – غزة

فلسطين

جمادى الآخرة (1426هـ) سبتمبر (2005م)

حقوق الطبع والتصوير محفوظة القسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى من سار على هديه إلى يوم الدين وبعد ،،،

فهذه السطور أعدها أساتذة قسم اللغة العربية في جامعة الأزهر/ غزة، لتكون مقررا جامعيا في دراسة اللغة العربية، وهي تضم فصولا في القراءة والإملاء وعلامات الترقيم ، وفي عصور الأدب العربي المختلفة ، وعلوم البلاغة ، وعلوم اللغة والنحو، قد صيغت بإسلوب يناسب الطلبة غير المتخصصين في دراسة اللغة العربية.

بدئ هذا الكتاب، بدروس القراءة والإملاء وعلامات الترقيم ، ثم عصور الأدب العربي ونصوصها ، فاختار نماذج وقضايا أدبية من عصوره المختلفة .

ثم ثنى بدروس البلاغة العربية ، فعرض لموضوعات هامة في علومها الثلاثة ، المعاني والبيان والبديع .

أما قسمه الثالث فقد تخصص في دراسة الجملة العربية بوصفها موضوعا رئيسا في الكلام العربي ونحوه ، وفي هذا المجال عرض الكتاب لموضوعاته اللغوية والنحوية بأسلوب سلس واختار أمثلة بسيطة سهلة من واقع حياتنا ، كما قدم نماذج إعرابية كثيرة تكون بمثابة وسائل تدريبية تعين الطالب على تذكر القاعدة النحوية ومن ثم محاكاتها في لغته الكلامية أو الكتابية.

إن هذا الكتاب ثمرة تعاون جماعية من أساتذة اللغة العربية بالقسم، أحبوا العربية وأحبوا أن يحببوها لطلابهم غير المتخصصين، والأمل أن يحقق هدفه المرجو منه وأن يكون موجها للقراء والدارسين في الإقبال على العربية ودروسها ، فالعربية لغتنا التي ينبغي أن نعتز بها ، ونحافظ عليها محافظتنا على هويتنا ، لأنها جزء مهم منا ، إن لم تكن ايانا.

والله نسأل أن يوفقنا لما فيه الخير والرشاد

قسم اللغة العربية

جامعة الأزهر . غزة

القسم الأول

الأدب العربي

الإسلام والشعر

تطرق القرآن الكريم إلى الحديث عن الشعر في سورة "الشعراء"، فقال تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون". (الشعراء /224-227).

هذه الآيات لا تهاجم الشعراء بصفة عامة، ولكنها تهاجم أولئك الشعراء الذين وقفوا موقفا عدائيا من الرسول ومن المسلمين، وظلوا يقرضون الشعر في الإسلام في الأغراض الجاهلية بصورة عامة، ولا سيما

الشعراء الذين كانوا يهجون النبي (صلى الله عليه وسلم) ويؤذونه بألسنتهم، والذين كانوا ينهشون الأعراض. ويتباهون بالأحساب والأنساب، من هنا ليست هذه الآيات حكما عاما على كل الشعراء بدليل ذلك الاستثناء الذي تختم به، والذي يستثني فيه القرآن الشعراء المؤمنين، حيث يقول: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعد ما ظلموا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون". فاستثنت هذه الآية الشعراء المؤمنين الصالحين كعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، فهؤلاء الشعراء وغيرهم من الشعراء المسلمين الذين تصدوا الشعراء مكة ودافعوا عن الإسلام، كان ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن وحفظه أغلب عليهم من نظم الشعر، وإذا قالوا الشعر قالوه في توحيد الله، والثناء عليه، ودعوا إلى مكارم الأخلاق والإكثار من الحكمة والموعظة والزهد، ومدح النبي، وصحابته الكرام " وانتصروا من بعد ما ظلموا أي أنهم كانوا يردون على من هجا النبي والمسلمين من كفار قريش.

فهذه الآيات لا يصح أن نفهمها على إطلاقها، وإنما يجب أن تفسر وتفهم في ضوء أسباب نزولها.

كما تطرق القرأن الكريم إلى الشعر في معرض تنزيه النبي (صلى الله عليه وسلم) عن قول الشعر، ودفعه مزاعم المشركين، الذين زعموا أن القرآن شعر أو لون من الشعر، فقال تعالى: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له، إن هو إلا فكر وقرآن مبين" (يس/36). أي ما علمنا النبي في قول الشعر، وما يصح له ولا يليق بحاله، حتى لو أراد قرض الشعر لم يأت له.

كانت هذه الآية جوابا للكافرين الذين كانوا يقولون عن النبي أنه شاعر، فنفت الشعر عن الرسول، وهي رد من القرآن الكريم على ما كان يشيعه المشركون ويتحدثون به من أن القرآن شعر، وأن محمدا شاعر، وأنه عليه السلام لم يأت بكلام منزل من عند الله، و إنما الذي يجيء به شعر من جنس أشعارهم

المعروفة، فكان طبيعيا أن يتصدى القرآن لهذا الاتهام بنفي الشعر عن النبي(صلى الله عليه و سلم) ، حتى يثبت أن القرآن كلام الله المنزل على رسوله من السماء، وأن النبي لا يتلو على العرب كلاما من عنده، ولكنه يتلو عليهم هذا الكلام المنزل من عند الله

وللرسول (صلى الله عليه وسلم) في أحاديث كثيرة كان يستحسن فيها الشعر الحسن الذي يوافق الحق وينتصر له، ويدعو إلى الخير والفضيلة ولمكارم الأخلاق، وللمثل العليا التي جاء بها الإسلام. وكان ينهى عن الشعر

القبيح الذي يدعو إلى الشر والفتنة، وإلى اللهو والعبث، ويفسد الأخلاق، فالشعر عند النبي (صلى الله عليه وسلم) لا ينقسم إلى نوعين: ما وافق الحق وهو الحسن، وما لم يوفق الحق وهو القبيح بدليل أنه لما سئل عن الشعر قال: "هو كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح". كما أن الرسول مدح الشعر والشعراء، فقال عليه الصلاة والسلام: "إن من الشعر لحكمة وين من البيان لسحرا".

أما أحاديث الرسول التي هاجم فيها الشعراء كحديثه عن امرئ القيس وحمله لواء الشعراء يوم القيامة حتى يرد بهم النار. كان المقصود الشعراء الذين ينحرفون عن طريق الخير والفضيلة والأخلاق الكريمة، فالرسول لم يذم الشعر جملة، ولم يهون من قيمة الشعر عامة، بل حارب نوعا منه، وذم فريقا من الشعراء وطبيعي أن يأتي موقف النبي منسجما مع موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء،

فالنبي (صلى الله عليه وسلم) استمع إلى أشعار كثيرة، واستنشد الشعراء وأعجب بأشعارهم وأجازهم، ورق لهم، وأجابهم إلى طلباتهم، ووجههم إلى الشعر الذي لا ينهش عرضا، ولا يجهر بفاحشة، ولا يمس حرمة فقد كان الرسول يستمع إلى شعر كعب ابن مالك وهو أحد شعراء المدينة، الذين كانوا يهاجون شعراء مكة، وقال له: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم نضح النبل". وكان عليه السلام يشجع حسان بن ثابت على الرد على شعراء مكة ويقول له: "اهجهم وروح القدس معك". ويقول له أيضا: اهج قريشا فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام". وقد استمع عليه السلام إلى الخنساء، وسألها أن تزيده من اشعارها، واستمع إلى كعب بن زهير في مسجده بالمدينة المنورة، وأجازه على قصيدته (بانت سعاد) ببردته.

وكذلك كان خلفاء الرسول من بعده، يستمعون إلى الشعر ويروونه، بل كان منهم من ينظم الشعر. وكان عمر بن الخطاب عالما يشعر العرب القديم، وكان دائم السؤال عن شعراء القبائل، وله آراء كثيرة نقد بها ما استمع إليه من الشعر، وله ملاحظات كان يعلق بها على ما كان يروى من أشعار.

وهكذا، نجد مما سبق أن الإسلام لم يقف موقفا عدائيا من الشعر كله كما يدعي كثير من المستشرقين، وإنما وقف سدا منيعا أمام ذلك النوع من الشعر الهدام الذي يدور حول الشر، وما يتصل به، وأمام أولئك الشعراء المستهترين الذين وقفوا في طريق نشر الدين الجديدة يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. فالشعر في نظر الإسلام ميزان حساس، وصفه النبي

(صلى الله عليه وسلم) بقوله: "إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه".

" قصيدة البردة "

اهتم العلماء والأدباء في كل عصور الأدب العربي، بشرح قصيدة البردة، فلاقت كثيرا من الشروحه وحاكاها الشعراء ونظموا على غرارها في الوزن والقافية، لشدة إعجابهم بها؛ لأنها قيلت في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومن هنا نجد أن عددا كبيرا من القصائد قد بدئت ب "بانت سعاد" مما يدل على شهرة هذه القصيدة وذيوعها وانتشارها، حتى قال حماد الراوية (156ﻫ) للخليفة الأموي الذي سأله لم سميت بالراوية؟ لأن اسمه حماد بن سابور - فقال له لأني يا أمير المؤمنين أحفظ سبعمائة قصيدة يبدأ كل منها ب "بانت سعاد".

هذه القصيدة الخالدة التي قيلت في مدح الرسول وصحابته امن المهاجرين والأنصار، وتأثر بها النبي (صلى الله عليه وسلم). وخلع بردته ووهبها الكعب مكافأة له، تدل على تذوق الرسول وحبه للشعر الجيد هذه القصيدة تعتبر من أهم القصائد في تاريخ التراث لأسباب عدة منها:

1- أنها قيلت في مدح النبي.

2- أن كعب بن زهير صاحب هذه القصيدة نال عفو الرسول بموجبها ومنحه بردته لشدة تأثره وإعجابه بها.

3- هذه القصيدة التي ألقيت بين يدي الرسول وفي مسجده وبعد صلاة الفجر، بينت لنا تذوق النبي الشعر وتأييده ورضاه عنه؛ لأنه جاء مؤيدا للمثل العليا التي جاء بها الإسلام.

4 - هذه القصيدة مليئة بالفوائد اللغوية والنحوية والأدبية، فهي من أكثر القصائد التي استشهد بأبياتها النحاة واللغويون، حيث بلغت الأبيات التي استشهد بها حوالي خمسة وعشرين من مجموع أبيات القصيدة التي يصل عددها إلى سبعة وخمسين بيتا (1).

5- هذه القصيدة تعتبر من أجود قصائد المديح؛ لأنها أنشدت بين يدي الرسول ومن حواليه كبار صحابته من المهاجرين والأنصار بالمدينة المنورة.

(1) العامودي، محمود محمد : شرح قصيدة بانت سعاد "دراسة وتحقيق ط1 1995م، ص15 .

كعب بن زهير، حياته ونشأته:

كعب بن زهير بن أبي سلمى، واسم أبي سلمى ربيعة ابن رباح، وليس في العرب سلمى بضم السين غير هذه. وهو من الشعراء المخضرمين الذين ولدوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام.

أخذ الشعر عن أبيه، فنبغ فيه حتى عد من أعلامه الكبار في صدر الإسلام. فهو عند ابن سلام الجمحي صاحب كتاب "طبقات فحول الشعراء" ضمن الطبقة الثانية من فحول الشعراء الجاهليين (2).

ويروى (3) أن كعبا وبجيرا ابني زهير بن أبي سلمى خرجا إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فقال كعب لبجير: اذهب وقابل الرجل (ويعني رسول الله) فاسمع كلامه، واعرف ما عنده. فقدم بجير على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسمع منه وأسلم، وحسن إسلامه، فأصبح من كبار الصحابة، وبلغ ذلك كعبا، فقال يهجوه

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة: على أي شيء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا: عليه، ولم تدرك عليه أخا لكا
سقاك أبو بكر بكأس روية : فأنهلك المأمون منها وعلكا

(2) الجمحي، محمد بن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق أحمد شاكر: دار المعارف، 1/ 97.

(3) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، 17/ 91.

فبلغت أبياته رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأهدر دمه، وقال: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله، فكتب إليه أخوه بجير يخيره، وقال له: انج وما أراك بمفلت. وكتب إليه بعد ذلك يأمره أن يسلم، ويقبل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويقول له: إن من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، قبله(صلى الله عليه و سلم)،وأسقطه ما كان قبل ذلك.

قدم كعب متنكرا حين بلغه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ما بلغه، فأتى أبا بكر، فلما صلى الصبح أتى به وهو متلثم بعمامته، فقال: يا رسول الله، رجل يبايعك على الإسلام، وبسط يده، وحسر عن وجهه، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هذا مكان العائذ بك، أنا كعب أبن زهير، فأمنه الرسول(صلى الله عليه و سلم)، وأنشده قصيدته التي افتتحها بقوله:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول: متيم إثرها لم يفد مكبول

حتى انتهى إلى قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فكساه النبي (صلى الله عليه وسلم) بردة اشتراها من أبنائه معاوية بن سفيان بعد ذلك بعشرين ألف درهم.

سنختار هذه القصيدة الخالدة الأبيات التي أعجب بها النبي (صلى الله عليه وسلم)، لأنها قيلت في مدحه هو وصحابته، ومن شده إعجاب الرسول بها خلع على كعب بردته،
فسميت من أجل ذلك بقصيدة البردة، كما عفا عن بعد أن كان قد أهدر دمه.

وهذه الأبيات هي:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل

لقد أقوم مقاما لو يقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل

حتى وضعت يميني لا أنازعه في كف ذي نقمات قيله القيل

لذاك أهيب عندي إذ أكلمه، وقيل: إنك منسوب ومسئول

من خادر من ليوث الأسد مسكنه من بطن عثر غيل دونه غيل

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل

شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

لا يفرحون إذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

يمشون مشتى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل

لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

شرح الأبيات والمفردات:

1-أنبئت: أخبرت. أوعدني: هددني، والوعد في الخير، والإيعاد في الشر.

مأمول: متوقع، وقيل: إنه لما أنشده هذا البيت قال النبي (صلى الله عليه وسلم) "رد العفو عند الله مأمول".

2- النافلة: العطية الزائدة على ما يجب من العطاء. تفصيل: تبيين وتوضيح، يقول: هداك على هدايتك من خصك بالعطية الزائدة وهي القرآن الذي فيه المواعيظ والآيات المفصلة.

3- لا تأخذني: لا تتهمني وتستذنبني بأقوال الواشين

الأقاويل: جمع أقوال، الأكاذيب.

4- إني أقوم مقاما هائلا أرى فيه وأسمع ما لو رآه الفيل أو سمعه لظل يرعد، وذكر الشاعر الفيل؛ لأنه أراد بذلك العظمة والتهويل، لأن الفيل أعظم الدواب شأنا، وأعظم الحيوانات جثة وأضخمها.

5- يرعد: تأخذه الرعدة من الفزع والخوف. التنويل: العطاء وأراد به التأمين أي لو يقوم الفيل مقاما أقومه لظل يرعد من الفزع والخوف، حتى يعطيه الرسول(صلى الله عليه وسلم) عهد الأمان والحرية والعفو.

6- وضعت يميني: وضعت كفي. لا أنازعه: لا أخالفه، ذي نقمات:

صاحب سطوة. قيله القيل: قوله القول النافذ، أي إذا قال شيئا فعله يقول: بقيت خائفا في هذا المجلس حتى وضعت يدي مأمونا في كف ذي سطوة، قوله هو القول النافذ، فأسلمت طائعا له لا أخالفه في شيء.

7- أهيب: أرهب. منسوب: أي منسوب لك أمور أنت مسئول عنها.

8- الخادر: الأسد في خدره أي في أجمته. ليوث الأسد: أجلد الأسود.

عثر: مكان تكثر فيه السباع، الغيل: أجمة الأسد.
يقول: إن النبي أهيب عنده من أسد خادر جلد مسكنه أجمة وراء أجمة من بطن عثر. يريد أن الأسد متى كان كذلك يكون أشد ضراوة وافتراسا.

9- مهند: منسوب إلى الهند، يقال: سيف مهند وهندواني كذلك، أي هندي.
يستضاء به: أي يهتدى به، أي هو سيف هداية لا سيف ضلال.

10- العصبة: الجماعة من الناس ما بين العشرة إلى الأربعين. قائلهم: المراد عمر بن الخطاب. زولوا: أي هاجروا من مكة إلى المدينة، وإنما خص قريشا بالذكر لأن معظم المهاجرين كانوا منها.

11- أنكاس: جمع نكس وهو الرجل الضعيف الجبان. الكشف: جمع أكشف، وهو الذي لا ترس ولا سلاح معه، أوهم الشجعان الذين لا ينكشفون في الحرب. ميل: جمع أميل وهو من لا سيف معه أو من لا يحسن الركوب. معازيل: جمع معزال أو معزول وهو م ن لا سلاح له يقول: أي هاجروا من مكة إلى المدينة وهم أقوياء شجعان لهم خيول وسلاح يثبتون على أرض المعركة عند لقاء الأعداء.

12- شم: جمع أشم وشماء وأصل الشمم الارتفاع، وانف أشم إذا كان فيه ارتفاع وعلو.
العرانين: جمع عرنين، وهو الأنف. وشم العرانين: كناية عن الأنفة والإباء. اللبوس: ما يلبس من السلاح. نسج داود: صنع داود. الهيجا: الحرب. سرابيل: دروع، أي لباسهم دروع من نسج داود عليه الصلاة والسلام.

13- نالت: أصابت. مجازيع: جمع مجزاع، وهو الشديد الجزع والخوف، نيلوا: أصيبوا، يقول: إذا غلبوا لا يفرحون، وإذا غلبوا لا يجزعون من لقاء الأعداء ثانية لثقتهم بالتغلب عليهم. وكان الشاعر ألم بقوله تعالى: "لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم"(الحديد/23). يصفهم بالصبر على الشدة، وقلة الاكتراث من الأعداء.

14- الزهر: البيض، جمع أزهر وزهراء. يعصمهم: يمنعهم.
عرد السود: أي فر وأعرض. التنابيل: جمع تنبال، وهو القصير.

15- حياض الموت: موارد الهلاك. تهليل: جبن وفرار يعني أنهم لا ينهزمون، فيقع الطعن في ظهورهم؛ بل يقدمون إقداما في الحرب، فيقع الطعن إذا قدموا في نحورهم، أي أنهم شجعان يطلبون الموت ولا يتأخرون عنه، إذا تأخر غيرهم عنه.

نقد وتعليق على قصيدة البردة

1- هذه القصيدة تقع في سبعة وخمسين بيتا، ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام هي:

أ- مقدمة غزلية تقليدية.

ب- وصف الرحلة.

ج- أقوال الوشاة.

د- الاعتذار والمدح.

2- استهل الشاعر قصيدته كعادة الشعراء الجاهليين بمقدمة غزلية، ذكر فيها فراق حبيبته سعاد، ثم أخذ في وصفها. وسعاد هنا فتاة خيالية غير حقيقية؛ لأن الشاعر في هذا الموقف الصعب أمام الرسول لا يفكر بفتاة اسمها سعاد، وإنما يفكر في عفو الرسول (صلى الله عليه وسلم).

3- اعتراف الشاعر برسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "أنبئت أن رسول الله أوعدني"، وأكد اعترافه برسالته بتكراره ذلك بقوله: (والعفو عند رسول الله مأمول). فكعب في الشطر الأول يعترف بالرسالة السماوية، ثم يطلب العفو في الشطر الثاني من البيت.

4- إيمان الشاعر بحتمية القضاء والقدر وحتمية الموت، وخاصة بعد تخلي القبائل والأصحاب عنه، مما جعله يقابل قدره ومصيره بنفسه فيتفق مع أبي بكر ويقابل الرسول، ويعتذر له، ويعفو عنه.

5- يبين الشاعر أن حروب الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت مقدسة من أجل نشر الدعوة الإسلامية فهو لم يحارب من أجل نفوذ أو جاه أو مال كما يدعي كثير من المستشرقين، وإنما من أجل عقيدة كان يريد أن يحميها وينشرها.

ومن هنا أهدر دم كثير من الشعراء، الذين وقفوا في وجه نشر الدين الجديد من أمثال: كعب بن اشرف اليهودي، حيث أمر الرسول بقتله. كما أمر بقتل عبد الله بن خطل وقينتين له كانتا تغنيان بشعر في هجاء الرسول وصحابته. كما أمر بقتل عصماء بنت مروان الأوسية؛ لأنها هجت الرسول، وحرضت الأوس والخزرج على قتله.

6- بعد أن اعتذر كعب للرسول ومدحه، التفت للمهاجرين من قبيلة قريش ومدحهم؛ لأنهم أول من أسلم مع الرسول، ونصروا دعوته فمدحهم بالشجاعة والبطولة وعزة النفس.

7- كان كعب في مدحه للرسول وصحابته واقعيا، فهو لم يرسم لهم صورة خيالية خارقة فيبالغ في شجاعتهم وبطولتهم، وإنما رسم لهم صورا حقيقية واقعية فوصف حروبهم وانتصاراتهم وهزائمهم، وقد يقع فيهم قتلى، لأن الحرب كر وفر، ويوم لك ويوم عليك، والمسلم لا يفرح بالنصر، ولا ييأس من الهزيمة.

8- وضح كعب دور الوشاة والكذابين والنمامين عبر عصور التاريخ حتى يومنا هذا، في الإيقاع بين المتخاصمين، وعدم الحرص على الصلح بينهم.

9- كان كعب في قصيدته اللامية، مقلدا للنابغة الذبياني في اعتذارياته المشهورة في الأدب العربي، حيث نقل عنه كثيرا من ألفاظه ومعانيه. فقوله: "أنبئت أن رسول الله أوعدني" مأخوذ من قول النابغة "أنبئت أنا أبا قابوس أوعدني".
وقوله: مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن" مأخوذ من قول النابغة "مهلا فدا لك الأقوام كلهم".
وقوله: "لا تأخذني بأقوال الوشاة" مأخوذ من قول النابغة "لا تأخذني بذنب لست فاعله". وهذا يدل أن الشاعر اطلع على أشعار النابغة، وأفاد منها وتأثر بها.

10- توضح هذه القصيدة الرائعة التي ألقيت بين يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي مسجده بعد صلاة الفجر، وبحضور كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، حب الرسول وتذوقه للشعر الجيد الذي يدعو لمكارم الأخلاق وللدين الجديد، ونفوره من الشعر الذي يدعو لأخلاق الجاهلية. فالرسول لم يعترض على المقدمة الغزلية، وعلى الأبيات الخمرية في هذه القصيدة؛ لأنه يعرف أنها مقدمة تقليدية لابد منها في القصيدة الجاهلية: فالرسول يذوق معنى الأبيات التي قيلت في مدحه هو وصحابته، وتأكد من صدق توبة كعب، وصدق شعوره وإحساسها فعفا عنه، وأهداه بردته، فسميت هذه القصيدة "بقصيدة البردة".

11- تعدد الأغراض الشعرية في هذه القصيدة، وعدم اقتصارها على غرض واحد، ففيها: غزل، وخمر، ووصف، واعتذار، ومدح، وحكمة.

12- شيوع الألفاظ الإسلامية في القصيدة مما يدل على تأثر كعب بالإسلام، كقوله: رسول الله، الرحمن، سيوف الله، نافلة القران، نسيج داود، شم العرانين...وهلم جرا.

13- كان الشاعر مضطربا نفسيا في قصيدته، وظهر ذلك في اعتذاره وعتابه ومدحه للرسول (صلى الله عليه وسلم).

14- كانت ألفاظ القصيدة مناسبة لأغراضها، فألفاظ الغزل سهلة واضحة، وألفاظ الوصف قوية جزلة متينة، وألفاظ المديح والاعتذار امتازت بالوضوح والسهولة، والبعد عن التعقيد والغموض وهو بذلك استطاع أن ينقل لنا تجربته، فجعلنا نشاركه إحساسه وشعوره، وآلامه وأحزانه، وفرحته بالعفو بعد انتهائه من نظم قصيدته.

أبو الطيب المتنبي
(أحمد بن الحسين)
303 - 354 هـ

نشأته وثقافته:

ولد أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين بن الحسن المعروف بالمتنبي في كندة بالكوفة سنة 303هـ، في أسرة عربية صميمة، وكان أبوه يعرف "بعيدان السقاء"، إذ كان عمله سقاية الماء في ذلك الوقت.

وقضى طفولته وصباه في أرجاء الكوفة، وكان محن إليها وينكرها في شعره فيما بعد (1).

كان المتنبي كثير الخصوم والأعداء، شديد الإحساس بعبقريته، وأستعلائه على أقرانه، مما كان يملأ قلوبهم غيظا وحمقا، ومما أطلق فيه ألسنتهم بالهجاء اللاذع.
لم يفخر المتنبي في أشعاره بآبائه وأجداده، وإنما وجدناه يفخر كثيرا بنفسه، ويعدد مآثرها ومناقبها، وبخاصة أمام ممدوحيه فيقول. (2)

أنا ابن اللقاء، أنا ابن السخاء — أنا ابن الضراب، أنا ابن الطعان
أنا ابن القياني، أنا ابن القوافي — أنا ابن السروج، أنا ابن الرعان

(1) يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي: تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، ط1 1979م، 1/ 164.

(2) ديوان المتنبي، شرح عبد الرحيم البرقوقي: دار الكتاب العربي – بيروت 322/1، الرعان: الجبال

والشاعر شديد الفخر بنفسه وفعاله، فهو يقول:(1)

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

فهو يبين بأنه لم يشرف بقومه، وإنما شرف وساد بأعماله وشجاعته وفروسيته، وبعبقريته الشعرية الفريدة. فالشاعر لديه من الصفات التي تؤهله للفخر بنفسه.

كان أبو الطيب المتنبي محبا للعلم والأدب، فأكثر من ملازمة علماء اللغة، ومصاحبة الأعراب الفصحاء البلغاء، مما أكسبه ثروة لغوية، وفصاحته في التعبير، كانت عدته عند نظم الشعر، ومحاورة أهل العلم والأدب (2).

كما أنه عاش في القرن الرابع الهجري، عصر الازدهار الثقافي والترجمة وكثرة الكتب والمكتبات العامة والخاصة، كما أن معظم الوزراء في عصره كانوا من الأدباء والكتاب، من أمثال:

الصاحب بن عباد، صاحب أكبر مكتبة خاصة في عصره، والقاضي الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، وابن العميد الذي قيل عنه: "بدئت الكتابة بعيد الحميد وانتهت بابن العميد"، كما ظهر في عصره: كثير من كبار اللغويين الذين اتصل بهم وأخذ عنهم من أمثال: عيسين الرماني، وأبي الفتح بن جني، وأبي الطيب اللغوي.

(1) ديوان المتنبي:46/1

(2) الصبح المنبي عن حيفية المتنبي: يوسف البديعي، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار المعارف 1963، ص20.

عاش المتنبي في هذه البيئة العلمية، فنهل من ثقافتها، واتصل بعلماء عصره وأدبائه، وأخذ عنهم، كما حرص الشاعر على حفظ الشعر العربي القديم، فقد كان يحفظ ديوان الطائيين- أبي تمام والبحتري - ويستصحبهما في أشعاره، بالإضافة إلى ما كان يستصحبه أيضا من دفاتر ومدونات، قد اختارها وأحسن قراتها وتصحيحها (1).

من هنا نشأ أبو الطيب محبة للعلم والأدب، منكبا على الدراسة والتحصيل، مما جعله مثقفة ثقافة واسعة، فالهواية مع الموهبة مع العلم تضافرت لتعطينا ذلك الشاعر العبقري الذي ينضح شعره بالأدلة على تمكنه من اللغة والثقافة، وكان من المطلعين على غريبها وحديثها، كما كان لا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر (2).

وهذا التمكن والاطلاع لهما أثرهما في عظمته وتكبره وتفاخره وكبريائه، وما عرف عنه من احتقار للغويين والأدباء والتعالي عليهم، ومهاجمة الأعاجم منهم، وربما أراد بإقباله على العلم والتحصيل ب هذه الصورة أن يعوض ذلك النقص الذي شعر به من جهة نسبه أو أبيه.

لماذا لقب الشاعر بالمتنبي؟

عاش المتنبي- وهو العربي الأصيل، في فترة الاضطرابات والانقسامات والثورات وضعف الخلافة العباسية، وتسلط الأعاجم على

(1) خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي: المطبعة السلفية 1347هـ، 1/ 382.

(2) وفيات الأعيان، أحمد بن خلكان: تعشق محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1948، 1/ 44.

العرب، وفساد الأحوال بوجه عام. لم يرض عن ذلك، ولكنه ثار وفاء لعروبته وقوميته، وتمنى من صميم قلبه أن يكون زعيم ثورة تطهر البلاد، وتجمع شمل الأمة لتوحد كلمتها. وسجن بسبب ذلك لمدة سنتين،

واستعطف والي حلب عندما طال حبسه ونفد صبره، فأطلق سراحه (1).

واختلف الأدباء في سبب سجنه، فبعضهم قال بسبب ادعائه النبوة، وبعضهم أرجع ذلك إلى خروجه على

السلطان (2).

ولو صح أن المتنبي ادعى النبوة حقا لوجب قتله لأنه يعتبر خارجا عن الإسلام، كما حدث للمتنبئين أيام الردة في عهد أبي بكر الصديق مثل مسيلمة الكذاب وسجاح التميمية. ولو ادعى المتنبي النبوة حقا لما وجدنا علماء اللغة والأدب والأمراء والحكام والوزراء يتهافتون على مجالسته، ويقبلون على أشعاره، ويطالبونه بمدحهم.
يقول أبو العلاء المعري في رسالة الغفران: "كان المتنبي إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب (المتنبي) قال: هو من النبوة، أي المرتفع من الأرض، وأنه قد طمح في شيء من الملك، ولإبداعه في الشعر، لقب بنبي الشعر، كما قيل في رثائه

هو في شعره نبي و لكن: ظهرت معجزته في المعاني

ويبدو أن شعراء عصره الكثير من الذين كانوا يحقدون عليه ويكرمونه، لأنه كان مقدما عليهم في مجالس الأمراء والحكام، متعالياً

(1) الصبح المنبي، البديعي: ص142

(2) يتيمة الدهر، الثعالبي: 1/ 7

عليهم، أخذوا ينظرون في أشعاره، وأرادوا أن يكيدوا له، فوجدوا أنه يكثر من ذكر الأنبياء في شعره، ويشبه نفسه بهم، فأرادوا له لقبا ينبزونه به، فلقبوه بالمتنبي، يريدون بذلك المتشبه بالأنبياء، وأخذوا يذكرونه بهذا اللقب، ويتداولونه بينهم، واستفاضت شهرته به، وعرف بذلك وصار لا يذكر إلا به، وسره هذا اللقب ولم ينكره الشاعر.

فالشاعر لم يدع النبوة، ولكنه كان رجلا شجاعا عفيفا، عاش في عصر كان الحكام فيه من الأعاجم، وكان يرى أن العرب أحق بالحكم منهم، فطالب بالحكم، لأنه ليس أقل شأنا ومنزلة من الحكام الذين يديرون شؤون البلاد. وهو لا يرضى بالذل والهوان أن يلحق به ولا بغيره، فهو دائما يطلب الحياة العزيزة الكريمة. والهوان كل الهوان أن يرضي عربي بالذل والظلم ولو كان في جنان الخلو، فقد كان دائما ينادي في أشعاره، إما بالحياة الكريمة الشريفة أو الموت والاستشهاد وهذا سبب ثورنه على أوضاع عصره، فهو يقول:(1)

عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

واطلب العزة في لظى وذر الذ ل ولو كان في جنان الخلود

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

فالشاعر ثائر ضد الظلم والهوان الذي كان يلحق بالعرب في عصره، فأخذ يدعو إلى الحرب والثأر وقتل الملوك من الأعاجم الذين يذلون العرب ويلحقون بهم الظلم والهوان. فنظرا لتفرده بالشجاعة

(1) ديوان المتنبي: 1/ 15.

والفروسية بين قومه، وعدم رضائه بما يلحق العرب من الخسف والجور، نراه يشبه نفسه بصالح الذي أراد أن يأخذ بيد قبيلة ثمود، ولكن صدور هذه القبيلة كانت مملوءة بالحقد عليه، ومن هنا لقبه بعض الناس بالمتنبي، عندما رأوه يشبه نفسه في هذا البيت بالنبي صالح. والحقيقة انه لقب بالمتنبي كما يقول صديقه ومعاصره أبو الفتح ابن جني رمزا لعبقريته الشعرية.

العروبة في شعر المتنبي:

نظم المتنبي أجود شعره في العرب، فقد كانت أشعاره في ديوانه مملوءة بالنزعة العربية؛ لأنه عربي صميم ولم تعرف العروبة شاعرا أخلص لها كما أخلص المتنبي؛ وبذل من أجلها روحه رخيصة في سبيلها، وظلت الثورة في سبيل العروبة تراوده في كل رحلات حياته. لأنه عاش في عصر كان الحكام من الأتراك والفرس يحكمون العرب ويذلونه.

حاول المتنبي جاهدا أن يستثير قومه ضد الحكام الأعاجم الظالمين الذين أذلوا العرب وسخروهم لخدمتهم، ومن هنا ظهرت قومية الشاعر وتمسكه بعروبته، وتعصبه للحياة العربية، ومحاولاته أن يثور على الأوضاع الفاسدة في عصره.

كانت قصائد المتنبي في مدح سيف الدولة من أروع القصائد العربية التي مجدت هذا القائد العربي، لا في عصره فحسب، بل كانت تمجيدا للعرب في عصره وفي كل عصر حتى وقتنا الحاضر؛ لأن المتنبي كان يحس ويدرك أن سيف الدولة الحمداني هو البطل العربي المنتظر الذي سيحارب حكام الأتراك ويقضي عليهم ويثأر للعرب، ويحقق لهم العزة والكرامة. ومن هنا أكثر من مدحه، وقر به سيف الدولة، وفضله على غيره من الشعراء، مما أشعل الحقد والعداء والكراهية في نفوس الشعراء الكثيرين المحيطين بسيف الدولة، فأخذوا يكيدون له عند الأمير، ليتخلصوا منه، فأحس المتنبي بذلك، فقال يثأر لكرامته:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وجد المتنبي العرب يرضخون لحكام الأعاجم من الترك، فكان ينظم أشعارا يحث فيها العرب على محاربة الأتراك الجائرين والخروج عليهم، لأنهم أذلوا العرب وحكموهم بتعسف وقهر. والمتنبي يريد أن يعود الحكم والملك عربيا كما كان أولا، ليتخلص العرب من العبيد الذين أذلوهم واستعلوا عليهم، وأحالوا حياتهم شقاء وظلما وبؤسا وألما، حتى أصبحوا غنما سائحة لا تملك من أمرها شيئا، إلا أن ترضى بالجوع والشقاء والتعب، وإن الحكام من الأتراك الذين فرضوا سلطانهم على العرب، يعتبرون عبيدا في الدرك الأسفل من صور الإنسانية، فلا أدب عندهم ولا كرم ولا عهود ولا ذمم ولا مواثيق.

يسخر المتنبي من حكام عصره من الأتراك؛ لأنهم كانوا عبيدا حفاة غلاظا لا يعرفون سوى الحياة الخشنة القاسية، أما الآن بعد أن وصلوا إلى كراسي الحكم فإنهم يلبسون الحرير ويرونه جافياً خشنا،

ويجلسون على الأرائك وپستعلون و پستكبرون ويملئون الأرض ظلما وشرا وبغيا، يصور الشاعر حكام عصره فيقول (1)

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم
في كل أرض وطئتها أمم ترعى بعيد كأنهم غنم
يستخشن الخز حين پليسه وكان يبرى بظفره القلم

كان المتنبي في كل أشعاره يدعو إلى القضاء على أعداء العروبة قضاء مبرما، ويحط من شأن الحكام الأتراك الذين تسلطوا على رقاب العرب أسيادهم وأذاقوهم كل ألوان الذل والظلم، وكان يرى أن هؤلاء الحكام من أشد الناس جبنا وضعفا، فهو يقول (2)

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
أرانب غير انهم ملوك مفتحة عيونهم نيام
بأجسام يحر القتل فيها وما أقرانها إلا الطعام

فالمتنبي يصف ملوك الترك الأعاجم بأن لهم أجسام البغال وأحلام العصافير، ويصفهم بأنهم أرانب أصبحوا ملوكا وساسة للرعية، نواظرهم مفتوحة كنواظر الأرانب، ولكن عيونهم نائمة، كناية عن

(1) ديوان المتنبي: 4/ 179

(2) دير أن المتنبي: 4/ 194

غفلتهم، وأن الأمور تدبر من دونهم دون أن يعرفوا عنها شيئا. وهم يموتون بطنة وتخمة من كثرة ما يملئون به بطونهم من الطعام والشراب، لا كما يموت الفرسان في الحرب قعصا بالرماح، فهم جبناء أنذال.

فالشاعر يشعر بالأسى والحزن لأن الشعب يلقى الظلم والخسف، ولكنه لا يتحرك ويثور ويرد الظلم والطغيان، ولا يبادر إلى الثورة على البغي والعدوان، لينقذ سمعته وكرامته، ويأخذ حريته، ويصبح سيدا كما كان دائما. فالناس في رأيه أضعف من أن يثوروا وأن يتحركوا لقهر من يستبدون بهم ويذيقونهم ألوان الأذى والعذاب.

دعا الشاعر العرب إلى تحطيم الظلم الذي لحق بهم، وهو يذكرهم بكرامتهم وعزتهم ونفوسهم الأبية الشجاعة، ليجسوا بكرامتهم التي سلبت، وليشعروا بأن حياتهم التي يعيشونها ويحبونها مرة مقيتة لا يرضى بها العربي الحر الكريم، وهو في كل أشعاره يحمل حملة شعواء على ملوك

الأعاجم وحكامهم، فيقول (1)

وإنما نحن في جيل سواسية: شر على الحر من سقم على بدن

ولا أعاشر من أملاكهم أحدا إلا أحق بضرب الرأس من وثن
لا يعْجِبَنَّهُ مضيماً حسن بزته وهل يروق دفيناً جودة الكفن
لله حال أرجيها ويخلفني واقتضى كونها دهري ويمطلني
مدحت قوما وإن عشنا نظمت لهم قصائداً من إناث الخيل والحصن

(1) ديوان المتنبي: 4/ 351.

يصف الشاعر جيله بأنه سواء في نقائصه ومعايبه وشروره، وهو لا يعاشر أحدا من ملوكهم وحكامهم إلا ويؤمن بوجوب قتله وسفك دمه وسحقه كما يسحق رأس الوثن حتى يريح الرعية منه وحتى تصبح بمأمن من عيشه وظلمه وجهله. ويتعجب الشاعر كيف يقبل الناس الظلم والضيم والذل والتسلط عليهم، حتى لو كانوا ينعمون بشيء من اليسر والسعة. والشاعر يرى أن من يقبل الذل والضيم ويرضى به ويستكين إليه، حتى لو كان حسن الثوب والحال، فمثله مثل ميت لا ينفعه شيئا حسن كفنه.. والشاعر يندم على مدائحه في هؤلاء الملوك لأنهم لا يستحقونها، ويعاهد نفسه إن امتد به العمر سوف يحاربهم حربا شعواء لا هوادة فيها، لقبول وتجول فيها الخيل ونسفك الدماء.

يعلن الشاعر دائما بأنه عربي صميم لا يقبل الضيم والذل والهوان وانه يتمنى أن يؤلف جيشا كبيرا يحارب به اعداء العرب الذين حرمونهم الامن والعدل وأذاقوهم البؤس والشقاء والحرمان،

ليرد إليهم عزتهم وكرامتهم، فيقول (1)

لا انتحار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام
واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الجمام
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ينظر المتنبي حوله فيرى الرعية مظلومة نائمة غارقة في الرذائل التي تجثم على صدورها، لا تستطيع أن تفعل شيئا، لذا نراه يطلب من

(1) ديوان المتنبي: 4/ 305.

الشعب في أشعاره الكثيرة أن يثور وينفض عنه الظلم ويسترد حريته وحقوقه، ويثأر لكرامته التي سلبها الحكام في عصره، فهو يخاطب أهل زمانه الذين رضوا بالذل والهوان، فيقول (1):

أذم إلى هذا الزمان أهيله ... فأعلمهم ندم وأحزمهم وغدا
وأكرمهم كلب وأبصرهم عم ... وأشهدهم فهد وأشجعهم قرد
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من صداقته بدُّ

فالمتنبي عربي عزيز النفس، حاقد على أهل زمانه، لأنه لم يستطع أن يحقق آماله وأمنياته، وأن الناس في عصره قد رضوا بالذل والظلم، وأنه يعيش في مجتمع قد تخلى عن قيمه الخلقية وفضائله الاجتماعية ومثله العليا، فالعلم غبي، والحازم وغد، والكريم كلب، والبصير أعمى، والمسهد فهد، والشجاع قرد.

انهارت القيم الإنسانية في عصر الشاعر، وأصبح أحط الناس وأذلهم يسيئون إليه ويضعون من قدره، وهو لا يكاد يصدق أنه يعيش في زمن يسيء إليه عبد مثل كافور الإخشيدي، فهو يفضل الموت على ذلك، فيقول :

ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن ... يسيء بي فيه كلب وهو محمود

رأى المتنبي أن الظلم عم المجتمع في عصره، وأصبح أراذل الناس يصرفون أمور الدولة، وبيدهم مقاليد الأمور، وهم لا يستحقون ذلك لأنه يوجد أحق منهم في إدارة شؤون البلاد، فهو يقول :(٢)

(1) ديوان المتنبي: 2/ 92.

(2) ديوان المتنبي 4/ 282.

اما في هذه الدنيا كريم : تزول به عن القلب الهموم ؟
أما في هذه الدنيا مكان : يسر بأهله الجار المقيم ؟

تشابهت البهائم والعبدى : علينا و الموالي والصميم(1)
وما أدري إذا داء حديث : أصاب الناس أم داء قديم

هذا اللون من الشعر جاء عند المتنبي نتيجة لتجاربه في الحياة، وما لا قوة من متاعب ومصاعب ومعاداة للناس، فهو يشعر بالسمو والرفعة على أفراد مجتمعه، لأنه كان يرى أنه أحق منهم بالسلطة والحكم، و احق منهم بالمال والجاه والنفوذ، لأنه أعظم منهم عقلا وحكمة وعلما. ولكن الشاعر طيلة حياته التي عاشها متنقلا بين الأقاليم العربية، مادحا الولاة والحكام، لم يستطع أن يحقق لنفسه ما كان يصبو إليه من جاه وسلطان وثراء، لأنه كان يرى أنه يستحق كل ذلك.

كان المتنبي دائم الدعوة إلى الثورة والنضال والفداء والتضحية ومقاومة الظلم، وطلب الحق والحرية. كما كان حريصا على جمع المال لتحقيق طموحاته في الجاه والسؤدد. ومن هنا أكثر من مدح الحكام والأمراء والولاة حبا في جمع المال، فهو القائل (2):

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله: ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

(1) العبدى: العبيد، جمع عبد، والمراد بهم هنا العباد، أي الناس، الصميم: الصريح الخالص النسب.

(2) ديوان المتنبي: 2/ 87.

سمات المتنبي الشخصية :

كان المتنبي متكبرا متعاليا معجبا بنفسه، يرى من حقه أن يكون ملكا فوق الملوك، إحساسا بقيمة شعره وفنه الذي لا يبارى فيه، فهو يقول (1)

وفؤادي من الملوك وإن كا : ن لساني يرى من الشعراء

وقد بلغ من علو مكانته، أنه طلب من سيف الدولة الحمداني "أنه لا يمدحه إلا وهو قاعد، وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه..... ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط"(2)، وقال الثعالبي: "كان المتنبي يخاطب الملوك مخاطبة الصديق والمحبوب، مذهب تفرد به رفعا لنفسه عن درجة الشعراء"(3).

وإذا طالعنا أشعاره بديوانه نقف على كبريائه وتعاليه، وشدة إعجابه بنفسه، فهو يقول (4):

لتعلم مصر ومن بالعراق: ومن بالعواصم أنى الفتى
وأني وفيت وأني أبيت: وأني عتوب على من عتا

وقال لسيف الدولة أثناء عتابه له، عندما رآه أعرض عنه، وساء الظن به (5)

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا: بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي: وأسمعت كلماتي من به صمم

(1) ديوان المتنبي: 1/159. (2) الصبح المنبي، البديعي: ص71. (3) يتيمة الدهر: 1/139.

(4) ديوان المتنبي:1/ 165. (5) ديوان المتنبي: 4/ 83.

إذا رأيت نيوب الليث بارزة : فلا تظن أن الليث يبتسم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني: والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ومن شدة غروره وشعوره بالتفوق على غيره، نراه يقول (1):

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه : فما أحد فوقي ولا أحد مثلي

ويرى المتنبي نفسه من فرط شعوره بالعظمة والتفوق، أنه فوق جميع الخلق، فيقول (2)

أي محل أرتقي: أي عظيم أتقي
وكل ما قد خلق الل هـ ومالم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

هكذا، كان المتنبي يشعر بالعظمة وبالعزة وبالتعالي وبالشجاعة والإقدام. وهر أبيَّ وفي عفيف مقدام، كان ذكيا جريئا شجاعا فصيحا، حجبت شهرته الشعراء في عصره، ودرس الناس أشعاره وحرصوا عليها، واختلفوا حولها، وانشغلوا بدراستها ونقدها، ومن هنا دارت حول الكثير من الدراسات والبحوث منذ قديم الزمان حتى عصرنا الحاضر.

الحكمة في شعر المتنبي

أكثر المتنبي في أشعاره من الحكم المنطقية المنتقاة من تجاربه الحياتية المعاشة لكثرة ما رأى وشاهد في رحلاته وتنقلاته، فمن حكمه قوله:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

(1) ديوان المتنبي: 3/ 81.

(2) ديوان المتنبي: 3/ 81.

وقوله:

عش عزيزا أدمت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

وقوله:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقوله:

وللنفس أخلاق تدل على الفتى أكان سخاء ما اتى أم تساخيا

وقوله:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

وقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقوله:

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

وقوله:

من ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقوله:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقوله:

ما كل من طلب المعالي نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا

وقوله:

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وقوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

هذه الحكم الكثيرة المتناثرة في ديوان الشاعر، لا يستطيع أن يقدمها إلا شاعر مجرب خبير بالحياة، عاش حياة مليئة بالمتاعب والمآسي فاستطاع أن يقدم لنا من تجاربه الشخصية حكما عامة لها قوة القانون الدائم.

هذه الحكم لم تأت في قصائده كيفما اتفق، ولكن الشاعر كان يخطط ويرسم حتى يأتي في الموضع المناسب من القصيدة، لتكون قوية ومؤثرة ومقنعة للسامعين، فتصبح بذلك كأنها حقيقة مسلم بها، يحس بها القارئ لشعره وكأنها شيء طبيعي معقول، يجدر الاقتناع والتسليم بها، لأنها سريعة التأثير في نفوس الناس. وبذلك سادت وانتشرت هذه الحكم، وأصبحت حالة مؤثرة في السامعين قديما وحديثا.

هذا الشاعر العربي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، قامت حوله دراسات كثيرة أغنت التراث الأدبي، وذاعت أشعاره واختلفت حولها الآراء، وحجبت شهرته الشعراء. عاش المتنبي في كنف سيف الدولة عشر سنوات (337-346هـ)، وعرفت مدائحه لسيف الدولة (بالسيفيات). وهي تزيد على ثمانين (80) قصيدة، وهي قصائد رائعة لا نظير لها في الأدب العربي، حتى قيل: لو لم يكن سيف الدولة، لما كان المتنبي، ولبس لشاعر آخر ولا لأبي الطيب نفسه شعر بهذا المقدار في ممدوح واحد، لأن الشاعر انقطع للأمير الحمداني هذه المدح لا يمدح سواه. كما أنه ليس بين مداحي العرب شاعر واحد وقف حياته وفنه على ممدوح واحد بقدر هذه الأعوام.

ويبدو أن روعة هذه القصائد يرجع إلى أن المتنبي كان يرى في شخصية سيف الدولة البطل العربي الذي كان يتمنى أن يكونه، فتغنى بأمجاده، وكأنه يتغنى بنفسه. فكثرت مدائحه فيه، ونال عطاءه، وهو راض عن نفسه دون إحساس بذل أو إهدار كرامة.

كما عاش المتنبي في كنف كافور الإخشيدي حاكم مصر خمس سنوات بعد ذلك (346-350) وعرفت قصائده (بالكافوريات أو المصريات). وتختلف مدائحه في سيف الدولة عن مدائحه لكافور، فقد كان المتنبي في سيفياته يتغنى بانتصارات سيف الدولة الرائعة التي كان يحققها على الروم. لذا كانت هذه الأعوام العشرة من أخصب أعوام المتنبي، من حيث كثرة الشعر وتنوعه. أما مديحه لكافور حاكم مصر فلم يكن نتيجة إعجاب أو إكبار أو حب كما كان عند سيف الدولة، وإنما كان الشاعر كاظما مشاعره وأحاسيسه، وكانت مدائحه في كافور يسودها السخرية والاستهزاء والتهكم، لما كان يعاني من سخط واضطراب نفسي. وقد عبر عن يأسه وآلامه ورجائه وندمه على مفارقة سيف الدولة، فهو يقول (١)

تظن ابتساماتي رجاء وغبطة ... وما أنا إلا ضاحك من رجائيا
أمينا وإخلانا وغدرا وخسة ... وجبنا أشخصا لحت لي أم مخازيا

(١) ديوان المتنبي : 4/ 432.

وتعجبني رجلاك في النعل إنني رأيتك ذا نعل إذ كنت حافيا
وانك لا تدري ألونك أسود من الجهل أم قد صار أبيض صافيا
فأصبحت مسرورا بما أنا منشد وإن كان بالإنشاد وهجوك غاليا
فإن كنت لا خيرا أفدت فإنني أفدت بلحظي مشرفيك الملاهيا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحداد البواكيا

هكذا، كانت نفسية المتنبي تثن وتتوجع وهو يمدح كافورا، ولذلك كان هذا المديح في الحقيقة هجاء وذما، لأنه لم يصدر عن عواطف صادقة نحو كافور. أما مدائحه في سيف الدولة فقد كان يتغنى فيها بأناشيد. المجد والانتصار على جيوش الأعداء، وكانت هذه الأشعار الحربية تعكس الشعور القومي الإسلامي، وروح الجهاد المقدس في أنبل مظاهرها.

فكان يشيد بالمجاهد الذي يمضي قدما للشهادة والتضحية بنفسه فرحا مسرورا لأنه يعتبر الشهادة هي الحياة الحقيقية. وقد أوقف المتنبي حياته الفنية وغير الفنية عشرة أعوام كاملة لمدح سيف الدولة. لأنه كان أمير عربيا شريف الأصل، كريم النسب، جواد اليد، بعيد الهمة. وهو من أجل ذلك استحق هذه المدائح من أبي الطيب، فأشاد بانتصاراته وتضحيته وبطولاته، كما رآها المتنبي نفسه على أرض المعركة، لأنه كان يشهد المواقع مع سيف الدولة.

الشعر المهجري وقصيدة للشاعر
شفيق المعلوف

في أواخر القرن التاسع عشر سعى كثير من أهل الشام للهجرة إلى الأمريكيتين بعد أن ضاقوا بالحياة في بلادهم لمجمل أسباب نعزوها إلى عسف الأتراك وسوء إدارتهم ، وكبتهم للحريات ، وإجبارهم الناس على الالتحاق بالجيش التركي ، وكذلك يمكن إرجاع السبب في الهجرة إلى عوامل أخرى منها كون أهل الشام (وهم ورثة الفينيقيين) يحبون المغامرة والحل و الترحال بما طبعوا عليه من غريزة تجارية ، ومنها سوء الحالة الاقتصادية وسيطرة الإقطاعيين واستحواذهم على الأراضي الزراعية وحرمان الفلاحين من خيراتها الأمر الذي أدى بهم إلى الفقر و العوز ، وهذا جعلهم يتطلعون إلى أمريكا تلك البلاد البعيدة التي سمعوا أنها أرض الذهب و الخيرات.

وكانت الهجرة في اتجاهين. اتجاه فضل أن يتوجه إلى أمريكا الشمالية وآخر إلى أمريكا الجنوبية وقد برز من بين هؤلاء المهاجرين شعراء وأدباء حافظوا على لغتهم العربية في أعمالهم الأدبية، وهذا أدى إلى بروز حركتين أدبيتين تعملان على لم شمل الأدباء و الحفاظ على مستواهم اللائق وتشجيع أعمالهم ، فقد ظهرت في أمريكا الشمالية رابطة أطلق عليها الرابطة القلمية وفي أمريكا الجنوبية عصبية سمت نفسها بالعصبة الأندلسية ، وكانت هذه أشد تمسكا و تعصبا للغة العربية والحفاظ على قيمتها و أصولها ، في الوقت الذي تساهلت الرابطة القلمية بعض الشيء في شأن اللغة واستحداث مفردات جديدة ربما لا تتسق مع القواعد الأصولية للغة، ومع ذلك فقد ظهر في الأمريكيتين شعراء عرب أثبتوا جدارتهم وقوة شاعريتهم بما مثلوه من تيار مشهور على الصعيد العربي وحتى الغربي.

وقد اتسمت مدرسة المهجر بشقيها الشمالي والجنوبي بعد صفات وخصائص تجلت في أغراض الشعر عندهم، ومن ذلك ظاهرة الحنين وهذا أمر طبعي حيث قاسى المهاجرون مرارة الغربية والبعد عن الوطن، وخاصة الوطن الشامي المتمثل خاصة في سوريا ولبنان بما يتمتعان من جمال خلاب وذكريات جميلة، و من هذه الأغراض التسامح الديني بحيث إستوى عند بعضهم الإيمان بالأديان فلم يفرقوا بينها بل وأنهم قد سجلوا قصائد جميلة في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) رغم انهم من المسيحيين، ومن أغراضهم التأمل الروحي الصوفي للوجود و الحياة السؤال المستمر لديهم عن الوجود و الحياة و المصير و الموت، كما اتسم شعرهم بزعة واضحة من الألم و الحزن وخاصة أن شعر المهجر قد تأثر تأثرا ملحوظا بالمذهب الرومانسي الذي يرى أن الألم و الحزن يفجران العبقرية ويثيران ملكة الشعر ، ومن أغراض شعرهم أيضا النزعة الإنسانية التي تتسع لكل ما في الوجود الإنساني من شاعر نبيلة.

وتقدم إليك أيها القارئ بعض قصيدة للشاعر المهجري شفيق معلوف وعنوانها **(الحنين)** حيث استبد به الشوق إلى موطنه وكتب هذه القصيدة، وهو شاعر مطبوع نشأ في بيئة تفوح بشذا الآداب، وتنفح الشعر هذه البيئة التي أنجبت أخويه فوزي ورياض المعلوف وكلاهما شاعر معروف، وقد ولد شاعرنا في زحلة بلبنان سنه 1905 م، وكانت غربته في أمريكا الجنوبية بالبرازيل تحديدا في سنة 1927 م.

القصيدة:

أعدني إلى الأرز يا خالقي فليست بلادي هذي البلاد
أعدني إلى الشفق المستنير يلف الربي ضوءه والوهاد
أعدني إلى مسرحي في الشباب ومطلع فجر المنى والرشاد
أرى شبح الأرز في يقظتي ويعرض لي طيفه في الرقاد
أعدني لأشهد فصل المصيف وفصل الخريف وفصل الزهر
ولحف الثلوج تغطي الظلام فتحسب أن الصباح انتشر
أعدني فليس جمال الوجود يعادل عندي تلك الصور

المعاني والدلالات:

هذه نفثات حارة ومرارة عظيمة، يعبر عنها الشاعر في هذه الأبيات، فهو استحضر موطنه لبنان وما يرمز إليه من شجرة الأرز، وأخذي يصب فيه جام عشقه، ويفرغ فيه ألم البعد والفراق عنه، فهو يتذكر أيام سعادته ذو أيام صباه، ويستغيث بالخالق أن يعيده إلى موطنه لبنان، وهو من جانب آخر يعبر عن ضيق بالبلاد التي اغترب فيها، ولا يحس بأي تفاعل معها، ويعلن بصوت مسموع أنها ليست بلاده، بما يشير أن حالته النفسية ليست على ما يرام، وأنه يعاني الحنين والشوق. وأخذ الشاعر يتغنى بل ويتغزل في بلده لبنان، وما فيها من شفق منير، يشع بضوئه على الأعالي والمنخفضات بحيث تتمثل طبيعة لبنان جبالا ووهادا، ويتذكر مسارح شبابه وأمنياته ونجاحاته، ويعبر الشاعر عما يشبه جنون العشق للوطن حيث يتمثل له في يقظته وفي نومه، وينادي الخالق أن يعيده إلى لبنان بفصوله المتعددة من صيف وخريف وشتاء وصباح وظلام، وأنه لا يجد جمالا في سوى لبنان مهما تعددت الصور.

الصور الفنية:

لقد كرر الشاعر كلمة أعدني ست مرات للتأكيد على العودة والرغبة فيها من جهة، وإعطاء الإيقاع الموسيقي المتمثل في التكرار، وإضافة الكلمة إلى الخالق تتأكد الاستعانة الاستصراخ والتعبير عن الرغبة الخالصة في العودة، والعاطفة الفياضة نحو البلاد التي خرج منها، والنفور والضجر من البلاد التي اغترب فيها.

كما نجد في الأبيات صور فنية متعددة لأنه لم يقدم لنا المعنى في صورة جاهزة ومجرد، بل أخرجها إخراجا خياليا تمخضت عنه صورا جميلة، فالشفق يلف ضوؤه الربى والوهاد، وجعل للفجر منى ورشاد، وخلق صورة للأرز متمثلة بشبح يعرض ليل ونهار، وكذلك الصورة المبهرة حيث إن الثلج لها لحف تغطي بها الظلام فتحوله من ظلمة داكنة إلى صباح منتشر.

محمود درويش

ولد الشاعر محمود درويش في الثالث عشر من مارس عام1941م في قرية تسمى "البروة" تقع على بعد 9كم شرقي عكا، من أبوين فلاحين، وخمسة أولاد وثلاث بنات.

كانت طفولة محمود طفولة معذبة شأنه في ذلك شأن أي طفل من الطبقة الفقيرة، فقد عاش طفولته في الهروب والترحال من مخيم إلى مخيم آخر مع عائلته، وها هو يتكلم عن طفولته فيقول: "أذكر نفسي، عندما كان عمري ست سنوات كنت أقيم في قرية جميلة هادئة هي قرية البروة، الواقعة على هضبة خضراء ينبسط أمامها سهل عكا، وكنت ابنا لأسرة متوسطة الحال، عاشت من الزراعة، وعندما بلغت السابعة توقفت ألعاب الطفولة، وأنا أذكر كيف حدث ذلك تماما، في إحدى ليالي الصيف التي اعتاد فيها القرويون أن يناموا على سطوح المنازل أيقظتني أمي من نومي فجأة، فوجدت نفسي مع مئات من سكان القرية أعدو في الغابة، كان الرصاص يتطاير من على رؤوسنا، ولم أفهم شيئا مما يجري، بعد ليلة من التشرد والهروب وصلت مع إحدى أقاربي الضائعين في الجهات إلى قرية غريبة ذات أطفال آخرين، تساءلت بسذاجة أين أنا؟ وسمعت للمرة الأولى كلمة لبنان" يخيل لي أن تلك الليلة وضعت حدا لطفولتي بمنتهى العنف، فالطفولة الخالية من المتاعب انتهت، وأحسست فجأة أني أنتمي إلى الكبار.. الخ (1).

(1) رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ط2 1972، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص 99-100 بتصرف.

لقد تعرف درويش لأول مرة على كلمات جديدة فتحت أمامه نافذة إلى عالم جديد عليه مثل، الوطن، طابور الوكالة الطويل للحصول على الغذاء، الحرب، الأخبار، الجيش، الحدود، واللاجئ المهينة..." وعاد إلى الوطن ليجد نفسه في قرية أخرى هي "دير الأسد" ثم إلى "الجديدة".

أما تعليمه فلقد حصل درويش على الثانوية العامة سنة 1960، وحاول مواصلة تعليمه حتى تمكن أخيرا في 1970 من الحصول على منحة للدراسة في الاتحاد السوفيتي، إلا أنه استقر في عدة منافي، القاهرة، بيروت، تونس، وأخيرا باريس، وحاليا بين باريس وعمان الأردن.

عمل في الصحافة وهو في الأرض المحتلة في جريدة الاتحاد، الفجر وغيرها. وكان موهوبا في الرسم إلا أن الحالة المادية لوالده لم تمكنه من شراء أدوات الرسم. لينتقل إلى دوحة الشعر.

دخل درويش سجون الاحتلال الإسرائيلي أكثر من مرة، كانت الأولى سنة 1961 بعد أن أتم تعليمه الثانوي، وانتقل إلى حيفا، وكان اعتقاله بدون سبب، ودخل سجن الجلمة" قرب مدينة الناصرة، وبقي في السجن أسبوعين بدون محاكمة.

وجاء السجن الثاني سنة 1965 وذلك لسفر الشاعر من حيفا إلى القدس بدون تصريح، وقد بدأت قصة الاعتقال هذه المرة عندما عقد الطلبة العرب في الجامعة العبرية أمسية شعرية ذهب الشاعر وألقى قصيدته الطويلة المعروفة "نشيد الرجال" من ديوان "عاشق من فلسطين.

وسجن مرة ثالثة في المدة ما بين 1965 - 1967، عندما حامت حوله شبهة النشاط المعادي لإسرائيل، أما السجن الرابع فكان في 4 يونيو سنة 1967 قبل النكسة بيوم واحد، ولكنه اختفى ليشرف على تحرير وإصدار جريدة "الاتحاد" العربية بعد أن تم اعتقال جميع المحررين فيها، وبعد انتهاء الحرب سنة 1967 عاد إلى البيت ليعتقل بدون محاكمة. وظل في سجن "الدامون" لمدة شهر أحس بالراحة في السجن لأن واقع الهزيمة كان مؤلما على أرض الواقع.

وفي سنة 1969 اعتقل للمرة الخامسة في سجن "الجلمة" وذلك بعد أن نسف الفدائيون عدة بيوت في حيفا وبقي في السجن مدة عشرين يوما (1)

(1) المصدر السابق، رجاء النعاس ص 110.

إنتاجه الشهري:

صدر للشاعر العديد من الدواوين قامت دار العودة بيروت يجمع عدد من الدواوين في إطار ديوان واحد باسم "ديوان محمود درويش" وذلك على فترات:

الفترة الأولى سنة 1971، وضم هذا الديوان مجموعة من الدواوين هي:

1 - عصافير بلا أجنحة سنة 1960.
2 - أوراق الزيتون سنة 1964.
3 -عاشق من فلسطين سنة 1966.
4 - آخر الليل سنة 1967.
5- حبيبتي تنهض من نومها سنة 1970.
6 - يوميات جرح فلسطين سنة 1968.
7- كتابة على ضوء بندقية سنة 1970.

الفترة الثانية سنة 1984، الطبعة الحادية عشر باسم "ديوان محمود درويش "ضم الدواوين الآتية:

1- أوراق الزيتون سنة 1964.
2- عاشق من فلسطين سنة 1966.
3- آخر الليل سنة 1967.
4- العصافير تموت في الجليل سنة 1970.
5- حبيبتي تنهض من نومها سنة 1970.
6- أحبك أو لا أحبك سنة 1972.
7- محاولة رقم"7"
8-تلك صورتها وهذا انتحار العاشق سنة 1975.
9- أعراس سنة 1977.

الفترة الثالثة سنة 1994 ط1 في مجلدين باسم "ديوان محمود درويش" ضم دواوين أخرى بالإضافة إلى ما سبق في المجلد الأول، أما المجلد الثاني فيحتوي على الآتي:

1- مديح الظل العالي سنة 1983 قصيدة تسجيلية.
2- حصار لمدات البحر سنة 1984.
3- هي أغنية سنة 1986. 4- ورد أقل سنة 1986.
5- أرى ما أريد سنة 1990. 6- أحد عشر كوكبا سنة 1992.

وإلى جانب الشعر له كتابات نثرية ونقدية لا يستهان بها ومحل إعجاب وتقدير كبير من قبل النقاد والأدباء مثل:

1-شيء عن الوطن.
2-في وصف حالتنا.
3- ذاكره النسيان.
4- يوميات الحزن العادي.

مكانته الأدبية:

يحتل محمود درويش مكان الصدارة للجيل الثالث من الشعراء الفلسطينيين، ومدرسة محمود درويش لم تأت من فراغ، وإنما تمتد جذورها إلى جيلين سابقين:
الجيل الأول وعلى رأسه شاعر فلسطين المطبوع إبراهيم طوقان، ومعه عبد الكريم الكرمي، وعبد الرحيم محمود، ومطلق عبد الخالق، وذلك في الفترة ما بين سنة 1924 إلى 1948 عام النكبة والهزيمة.

الجيل الثاني: جيل النكبة ما بعد 1948 - 1967: منها عبد الكريم الكرمي، يوسف الخطيب، محمود الحوت، هارون هاشم رستم رشيد، علي هاشم رشيد، معين بسيسو، وغيرهم.
وكان صوت اليأس هو أعلى الأصوات جميعا معبرا عن الضياع والشتات والتشرد والخيام والبؤس، وظلت فترة من الزمن حتى ظهرت علامات في الأفق تدعو إلى التفاؤل

وغرس الأمل في النفوس مثل: ثورة يوليو 1952، الوحدة بين مصر وسوريا سنة 1958، ولكن صدم هذا الجيل بنكبة 1967.

أما الجيل الثالث الحالي والذي يتوج على قمته في شعراء فلسطين فمنهم رفاقه في الأرض المحتلة مثل: سميح القاسم، والمرحوم/ التوفيق زياد، وحنا أبو حنا، وسالم جبران، والمرحوم/ راشد حسين، ومحمود دسوقي، وغيرهم.
أما شعراء المنافي والأرض الفلسطينية على سبيل المثال لا الحصر، أحمد دحبور، محمد حسيب القاضي، وليد سيف، خالد أبو خالد، وغيرهم.

ولا يستطيع أحد أن يتجاهل أن مكانة محمود درويش ليس فقط على المستوى الفلسطيني أو العربي، وإنما يعد على المستوى العالمي له شهرة عالمية باعتباره من شعراء المقاومة أمثال، ناظم حكمت في تركيا: لوركا، نيرودا، وغيرهم.

نال الكثير من الجوائز مثل: جائزة اللوتس لشعراء آسيا وأفريقيا وامريكا الجنوبية، وترجمت دواوينه وأشعاره إلى مختلف لغات العالم. ويحظى باحترام معظم الشعوب خاصة شعوب العالم الثالث باعتباره شاعر قضية إنسانية.

أضواء على شعره:

بدأ محمود درويش نظم الشعر في مرحلة مبكرة، فقد أصدر ديوانه الأول "عصافير بلا أجنحة" وعمره تسعة عشر عاما، سماها البعض مرحلة الطفولة الفنية، كان التعبير فيها خطابيا ومباشرا من جهة والتجارب والأفكار محدودة من جهة ثانية، والصور الشعرية قائمة على الزخرفة والبلاغة الخارجية، إضافة إلى الموسيقى العالية، ويغلب عليه التأثر بالشاعر نزار قباني أو تقليده.

ومحمود درويش نفسه يقول (عن الديوان) فيما بعد "أنه لا يستحق الوقوف أمامه". مما جعله يحذف كثير من القصائد عند إعادة طبع ديوانه ككل.

أما بالنسبة لشعره في الدواوين التالية مثل: أوراق الزيتون، عاشق من فلسطين، وما بعدها، فإن النضج الفني فيها واضح ومتنامي ومتجدد، فالخطابية خفت وتلاشت، والمباشرة لم تعد، فاتسم شعره بالقوة والهمس والإيحاء، وأصبح أكثر رقة وأغنى بالعذوبة والأحلام، كما لجأ الشاعر إلى الرمز والأساطير والقصة الشعرية التي تساعد الشاعر الفنان على الوصول بشعره إلى درجة عالية من التأثير الوجداني والفني، وللتعبير عن تجاربه الفنية المختلفة مع احتفاظه بالوضوح الفني لأنه شاعر مرتبط بالجماهير وصاحب قضية إنسانية، لذا فقد حرص على أن تكون رموزه بعيدة كل البعد عن الغموض والتعقيد، كما هدف من وراء الرمز التعبير بعيدا عن سطوة الرقابة السياسية أثناء وجوده في الأرض المحتلة.

والشاعر مؤهل للكتابة المسرحية الشعرية ويمتلك قدرة أكيدة، نرى ذلك من خلال لغة "الحوار" في قصائده، فتجد في القصيدة الواحدة صوتين لا صوت واحد كما هو الحال عند الكثير من الشعراء، وهذه

ميزة له. كما نلاحظ اعتماده على "التداعي الحر" وعلى الموروث العالمي والشعبي "خاصة" الأغاني الشعبية كما نرى ذلك واضحا في شعره وعلى سبيل المثال لا الحصر فهو يبدأ قصيدته "موال" بمقطع من أغنية شعبية فلسطينية حيث يقول (1):

يما مويل الهوى يا ... مويليا
ضرب الخناجر ولا حكم النذل فيا

وهو ينطلق من فهمه بأن ذلك يخدم بناء قصيدته وتقريبها إلى الوجدان الشعبي، كما تخدم قضية شعبه.

وشاعرنا/ محمود درويش يؤمن بأن للشعر رسالة سامية ونبيلة، ووظيفة هادفة تنويرية واجتماعية حيث يقول (2):

قصائدنا بلا لون
بلا طعم ... بلا صوت!
إذا لم تحمل المصباح من بيت إلى بيت!
وإن لم يفهم "البسطا" معانيها
فأولني أن نذريها
ونخلد نحن ... للصمت!

وبالإضافة لما سبق فهو صاحب رسالة عظيمة تتعدى حدود الوطن والمكان، فللشعر وظيفة إنسانية، فهو يريد شعرا مرتبطا كل الارتباط بالإنسان وهموم الإنسان، وأحلام الإنسان، لا شعرا تكون
وظيفته الإمتاع والترف والجمال الفني الخارجي المجرد من أي وظيفة إنسانية أخرى، شعرا يجعل جماله الفني في خدمة الإنسان وقضاياه الكبيرة، وتجارية الحساسة.

(1) من ديوان "آخر الليل" ص 183، ط11، 1984م.

(2) من قصيدة "عن الشعر" ص 55، من ديوان أوراق الزيتون، ط11، سنة 1984م.

وقد أطلق على الشاعر الكثير من النعوت: فهو شاعر الأرض المحتلة، ومجنون التراب، وشاعر الأرض، وخير من عبر عنها وعن التصاقه بها، شاعر المقاومة، والعاشق الأبدي لفلسطين.

وها نحن نعيش مع قصيدة بعنوان "عاشق من فلسطين" (1) من ديوانه عاشق من فلسطين نأخذ بعض المقاطع.

عيونك، شوكة في القلب
توجعني ... وأعبدها
وأحميها من الريح
وأغمدها وراء الليل والأوجاع ... أغمدها
فيشعل جرحها ضوء المصابيح
ويجعل حاضري غدها
أعز علي من روحي
وأنسى بعد حين، في لقاء العين بالعين
بانا مرة كنا، وراء الباب، أثنين!
رأيتك في خوابي الماء والملح محطمة
رأيتك في مقاهي الليل خادمة
رأيتك في شعاع الدمع والجرح
وأنت الرئة الأخرى بصدري
أنت أنت الصوت في شفتي..
وأنت الماء، أنت النار!
***
رأيتك عند باب الكهف.. عند النار
معلقة على حبل الغسيل ثياب أيتامك
رأيتك في الموقد ... في الشوارع
في الزرائب ... في دم الشمس
رأيتك في أغاني اليتم والبؤس!
***

(1) المصدر السابق، ص183.

رأيتك ملء ملح البحر والرمل
وكنت جميلة كالأرض.. كالأطفال.. كالفل
وأقسم:
من رموش العين سوف أخيط منديلا
وأنقش فوقه شعرا لعينيك
وإسما حين أسقيه فؤادا ذاب ترتيلا..
يمد عرائش الأيك ...
سأكتب جملة أغلى من الشهداء والقبل..
"فلسطينية كانت ولم تزل!"
***
فلسطينية العينين والوشم
فلسطينية الاسم
فلسطينية الأحلام والهم
فلسطينية المنديل والقدمين والجسم
فلسطينية الكلمات والصمت
فلسطينية الصوت
فلسطينية الميلاد والموت

الواقعية *

كانت الكلاسيكية الجديدة والرومانسية مدرستين أدبيتين حتمتهما ظروف الأدب العربي بحيث لا تستطيع القول إنه كان أمام الشاعر خيارات أخرى.

أما الواقعية، فكانت اختيار الشاعر العربي عن إرادة واعية، صحيح أنه لم يستحدث هذا المذهب كما لم يستحدث المذاهب السابقة أو اللاحقة _حتى الآن_ لكن الواقعية كانت اختيارا واعيا وحرا، وذلك بعد أن أثبتت الرومانسية عدم قدرتها على مواجهة طبيعة الحياة بكل قسوتها ومرارتها، وبعد أن فشلت في التعبير عن الإنسان المعاصر بكل همومه الجديدة ومشاكله المعقدة.

صحيح أن الشاعر العربي والأدب العربي كله كان بحاجة ماسة إلى الرومانسية لما فيها من تجديد وكسر لروتين الكلاسيكية، ولكنها حاجة مرحلية انتهت بنهاية دورها في التجديد. ثم أخلت هذه الرومانسية المسرح للمدرسة الأقوى وهي الواقعية.

مر العالم العربي بظروف سياسية واجتماعية وثقافية في القرن العشرين لم يشهد لها مثيلا من قبل، فلقد عانى من أهوال حربين عالميتين دون أن يكون له فيهما ناقة أو جمل، وكان هذا العالم نهبا للاستعمار الغربي يتقاسمونه كيف يشاءون دون أن يكون له إرادة او شخصية تذكر، ثم نصب الاستعمار حكومات رجعية مستبدة عملت على قتل كل حركات التحرر لدى الشعوب ، وكانت مصيبة المصائب التي ألمت بالعالم العربي هي ضياع فلسطين عام 1948 بينما ملايين العرب و المسلمين عاجزين عن فعل أي شيء ، وكانت هذه المأساة بداية الوعي العربي ، بل والإحساس الشديد بالقهر والذل والتبعية.

ولم تعد الرومانسية، بما فيها من مثاليات وأحلام وردية وخيالات مجنحة، لم تعد تناست هذا العصر، وكان لابد من مذهب أدبي يتناسب مع كل هذه التطورات وغيرها فكان المذهب الواقعي أنسب المذاهب الأدبية لمواجهة هذا الواقع المؤلم بكل قبحه ومرارته.

***: د. فوزي الحاج.**

وكان نتيجة هذا الوعي الجديد أن اختلفت مهمة الشعر والشعراء في الحياة، فلم يعد الشاعر يتغنى بآلامه وأوجاعه الشخصية ولم يعد الشعر وسيلة لوصف جمال المحبوبة وروعة الطبيعة كذلك لم يعد حكمة أو قولا مأثورا يلخص به الشاعر تجربته لتتناقلها الألسن؟ أصبح الشعر أداة ثورية يستعين بها الشاعر والقارئ معا من أجل تغيير هذا الواقع السيئ إلى واقع أفضل، أصبح الشعر سلاحا ضد كل هذا الفساد الذي يهيمن على كل تفاصيل حياتنا العربية. أصبح الشعر معادلا موضوعيا للغضب الذي يغلي في صدور الملايين.

ولم يعد من هم المتلقي أن يبحث عن " وجبة جمالية " جاهزة يمتع به أذنه الموسيقية، وذوقه وأحاسيسه بل صار عليه أن يحمل مع الشاعر.

هم الثورة وأن يهدم معاقل الفساد، وأن يبني بدلا منها بناء المستقبل، لقد أعلن بريخت منذ نصف قرن تقريبا: ليست مهمة الفن تفسير العالم بل تغييره؛ والشعر بما يحمل من قدرة خاص وتأثير سريع، وإمكانات لا تتوفر لغيره من الفنون، يحمل راية التغيير هذه.

وإزاء كل هذا التعبير في طبيعة الشعر ومفهومه ووظيفته، كان لابد من تغيير في قالب هذا الشعر، إن القالب الموسيقى التقليدي لم يعد يتسع لهذه المضامين الجديدة لذا قالت هذه المضامين بتحطيم القالب واستحداث قوالب جديدة تتناسب معها.

ويمكن إيجاز فلسفة تغيير الشكل الموسيقى في أن الشعر الجديد رفض أن تتشكل العاطفة والتجربة بحسب القالب الجامد وأراد أن يتحور القالب ويتشكل بحسب العاطفة والتجربة، أو بتعبير آخر لا يجب أن تكون العاطفة في خدمة الشكل أو القالب، بل يكون الشكل والقالب في خدمة العاطفة، وبذا أحدث الشعراء العرب أكبر تغيير طرأ على شكل الشعر العربي ومضمونه منذ الجاهلية إلى القرن العشرين وعرفت هذه الحركة الشعرية الجديدة باسم:

الشعر الحر:

ولا بد من التأكيد ثانية على أن تاريخ الأدب لا يعرف الطفرات، وأن كل ظاهرة أدبية لا بد أن يكون لها جذورها وأن تكون امتدادا وتطويرا لما سبقها من ظاهرات وعليه فإنه يمكن لنا القول بأن الشعر الحر كان نتيجة حتمية لجهود الشعراء التي بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر لتطوير الشعر العربي واستمرت طيلة النصف الأول من القرن العشرين، ورأينا عشرات، بل مئات محاولات التجنيد والتنوع في الشكل الموسيقي وفي المضمون بل وفي الرؤية الشعرية أيضا، فقد

كتب الشعراء منذ مطلع القرن العشرين الشعر المرسل ، وأعادوا صياغة الموشحات بأشكال جديدة، وكان شعراء المهاجر الأمريكية ، والمهجر الشمالي خاصة ، أكثر شجاعة في إحداث التلوين الجديد في الشعر فأدخلوا بذلك روحا جديدة للشعر العربي غزت المشرق، وتسللت إلى عقول وأفئدة القراء والشعراء فيه حتى استولت عليهم ، وذلك أنها صادفت لديهم ميلا مؤكدا نحو التطوير والتجديد والإضافة ، فشارك أصحاب مدرسة الديوان بدور فعال في عملية التجديد هذه وكانت مشاركتهم الكبرى بآرائهم النقدية الصائبة ودعوتهم الحارة نحو التجديد ، بينما كانت مشاركة المهجريين أكثر فعالية لأنها كانت عملية من خلال أشعار عالية القيمة ، اتخذها كثير من شعراء الشرق نموذجا يمكن محاكاته .

ثم جاءت جماعة أبوللو وأضافت لهذا البناء الجديد ما استطاعت كما كان هناك شعراء يحاولون في صمت ويجددون في صمت ، ودون أن ينتموا لأي مدرسة أدبية ، وعلى رأس هؤلاء كان الأديب الكبير على أحمد باكثير الذي كتب مسرحية "أخناتون ونفرتيتي "معتمدا على وحدة التفعيلة لا وحدة البيت، وكان هذا عماد الشعر الحر فيما بعد، كما رصدت محاولات عديدة لبعض الشعراء للخروج على نظام البيت ، ومن أبرز من حاول ذلك إلى جانب باكثير كان الدكتور لويس عوض في ديوانه بلوتولاند والكاتب محمد فريد أبو حديد ، وفي العراق بدأت هذه المحاولات للخروج على نظام البيت التقليدي منذ 1911 وفي ذلك يقول
د.يوسف عز الدين :"من أراد أن يطلع على جلية الأمر وجب

عليه أن يقرأ جرائد العراق من سنة 1911إلى1945 سنة ليتضح له أن الحركة قديمة ولها جذورها التاريخية التي تصل إلى أوائل القرن العشرين.. لأن كل فكرة جديدة لا بد لها من جذور وينبغي أن أسس وقواعد قديمة تستمد حياتها منها؟ ولم تصل الحركة إلى ما وصلت إليه إلا بعد أكثر من ثلاثين سنة. إذ لا يمكن للفكر أن يتطور دفعة واحدة.. ولا بد له من دوافع حضارية واجتماعية" نلخص من ذلك إلى حقيقتين جوهريتين، **أولهما**: أن ظاهرة الشعر الحر لم تظهر بين عشية وضحاها وإنما جاءت بعد مخاض طويل استمر عشرات السنين، فكانت بذلك نتاجا طبيعيا ذا جذور قوية و**الثانية** أنها لم تكن ذوقا فرديا أو تفكيرا خاصا وإنما كانت تعبيرا عن رأي جماعي توافق وآراء معظم الشعراء والأدباء. ومما يؤكد ذلك التفاف العديد من الشعراء والنقاد والمثقفين حول هذا الشعر منذ أن تبلور في نهاية الأربعينات على يد كل من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب في العراق.

موسيقى الشعر الحر

وأول ما يلفت النظر في اختلاف الشعر الحر عن الشعر التقليدي هو اختلاف الموسيقى، وظن الكثير ممن لا دراية لهم بالشعر أن الشعر الحر لا وزن له ولا قافية، وهذا قول مغلوط، فالشعر الحر يسير على أوزان الخليل التقليدية، وكل ما هنالك أنه أتاح لنفسه إمكانية لم يستغلها الشعراء السابقون وهي المزج بين الأشكال المتنوعة للبحر الواحد فمثلا بحر المتدارك يحتوي على هذه الأشكال:

التام: ويتكون من تكرار التفعيلة "فاعلن" مكررة ثماني مرات، أربعا في كل شطر.
المجزوء: ويتكون من تكرار التفعيلة "فاعلن" ست مرات ثلاثا في كل شطر.
المنهوك: ويتكون من تكرار التفعيلة فاعلن ثلاث مرات.

وقد تعود الشاعر العربي على استخدام الشكل الواحد في القصيدة بأكملها وعدم المزاج بين هذه الأشكال إطلاقا، حتى جاءت حركة الشعر الحر فمزجت بين هذه الأشكال جميعا وبذلك خرجت من وحدة البيت السابقة إلى وحدة جديدة هي وحدة التفعيلة فإذا استخدم الشاعر المعاصر أول تفعيلة من المتدارك فإن عليه أن يظل إلى آخر القصيدة مع فاعلن وليس له من التجاوزات أكثر مما للشاعر السابق، أي الزحفات والعلل المعروفة.

صحيح أن هناك من الشعراء من استخدم أكثر من بحر شعري في قصيدته ولكن ذلك كان لغايات فنية كأن يكون هناك أكثر من صوت داخل القصيدة وما شابه، وهذا ليس خروجا على الموسيقى التقليدية بقدر ما هو تنويع على نفس الأوتار الموسيقية.

أما إذا خرج الشاعر من نطاق التفعيلات مطلقا، ورفض الالتزام بأي وزن موسيقي محدد، فإنه بذلك يكون قد خرج من نطاق الشعر إلى النثر الأدبي، لأن الفيصل الأساسي - في الشكل - بين الشعر والنثر يكمن في الموسيقى، مهما حاول المتشاعرون الاستخفاف بهذا الفارق والمتأمل في الفنون جميعا يجد لكل فن نظاما خاصا هو الذي يجعل منه فنا، والشعر نظامه الأساسي يكمن في الموسيقى وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد يعيدنا هذا إلى قضية الشكل والمعنى التي وقف عندها القدماء كثيرا، ولكن هناك كثيرا من الأشعار التي احتفظت بها ذاكرة التاريخ الأدبي وليس لها من المعنى ما يستحق الوقوف عنده كثيرا وكل ما فيها بروز عنصر الموسيقى، وإذا تركنا القدماء، ووصلنا المحدثين، وجدنا شاعرا كبيرا مثل شوقي لا يميزه عن أقل شاعر في عصره سوى عنصر الموسيقى هذا الذي يستهين به المتشاعرون. وقد يقودنا الكلام إلى تعريف الموهبة الشعرية بأنها صياغة اللغة في قوالب موسيقية، وهنا يكتسب المعنى العادي " شرفا كبيرا " أما المعنى النادر الذي يصاغ صياغة موسيقية نادرة فإنه يدلنا ببساطة على العبقرية.

إن العاطفة والإحساس الصادق أمر حيوي جدا للشعر، ولا نقلل من قيمته في شيء ولكن الإحساس الصادق وحده لا ينتج شعرا وخلو الشعر منه لا يفقده جوهره الشعري، صحيح أنه يفقده قيمة شعرية لكنه يظل مع ذلك شعرا، ودليلنا على ذلك آلاف قصائد المديح التي قيلت دون إحساس صادق وأشهرها قصائد المتنبي في مدح كافور، حيث لم يزعم أحد أنها تخرج من الشعر لأنها لا تحتوي إحساسا صادق وإنما هو جري على عادة الشعراء فقط.

لذا نعود إلى التأكيد بأن الشعر هو الصياغة "السحرية " للغة، أي الصياغة الموسيقية للغة.

أما القافية المتكررة في نهاية كل بيت، فقد انهارت بانهيار نظام البيت نفسه، ولجأ الشاعر المعاصر إلى أشكال جدية من القافية يقوم باختراعها في كل قصيدة على حدة. ولعل من الواجب التنبيه إلى أن الشاعر الجيد يبحث عن القافية بحثا لأنها عنصر موسيقي حيوي.

وفقدانها يعني فقدان القصيدة "جرعة "موسيقية أخرى بعد أن فقدت القصيدة "الجرعة" الأولى عند انهيار نظام البيت، وللشاعر أحمد مطر قصيدة يظهر فيها إلحاح القافية، فيستخدمها في نهاية كل سطر شعري، أي بصورة أكثر من استخدام الشاعر التقليدي لها يقول بعنوان "عاش.. يسقط"

يا قدس معذرة ومثلي ليس يعتذر
مالي يد في ما جرى فالأمر ما أمروا
وأنا ضعيف ليس لي أثر
عار على السمع والبصر
وأنا بسيف الحرف أنتحر
وأنا اللهيب.. وقادتي المطر
فمتى سأستعر
لو أن أرباب الحمى حجر
لحملت فأسا دونها القدر
هوجاء لا تبقى ولا تذر
لكنما.. أصنامنا بشر
الغدر منهم خائف حذر

والمكر يشكو الله إن مكروا
فالحرب أغنية يجن بلحنها الوتر
والسلم مختصر!
ساق على ساق
وأقداح يعرش فوقها الخدر
وموائد من حولها بقر
.. ويكون مؤتمر!
هزي إليك بجذع مؤتمر
يساقط حولك الهذر:
عاش اللهيب...

ويسقط المطر (1)

والملاحظ أن معظم الشعراء الكبار الذين أبدعوا في ميدان الشعر الحر حافظوا على بناء فني متميز، أو "هندسة موسيقية "خاصة لقصائدهم، ولم يتركوها كلاما منثورا دون رابط أو عائق.

وهذا ما يفسر لنا تسمية هذا اللون من الشعر "بالشعر الحر " إذا ليس معنى الحرية أن يكتب الشاعر دون أي قيود أو ضوابط من وزن أو قافية أو بناء فني، إنما الحرية هنا تعني حرية اختيار هذا الشكل الفني الخاص. حرية بناء هذا المعمار الفريد الخاص بلحظة عبقرية في حياة الإنسان لا تساويها لحظة أخرى وبالتالي لا يجب أن يساوي هذا المعمار اي معمار آخر.

(1) لافتات1 ص 68-69 لندن سنة 1984م

الحرية إذن في اختيار عدد التفعيلات في كل سطر بحيث تعبر بكل دقة_ دون زيادة أو نقصان - عن الدفقة الشعورية التي يريدها الشاعر فإذا ما أراد الشاعر استعادة صرخة المرأة العربية التي أسرها الروم قال " وامعتصماه " وهو يكتفي بها في سطر شعري واحد وهو لا يريد أن يضيف إليها شيئا آخر، بينما هو في الشكل التقليدي مضطر للبحث عن خمس تفعيلات أخرى ليكمل البيت الشعري بها، ولننظر كيف يستخدم الشاعر تفعيلة واحدة في السطر الشعري: يقول صلاح عبد الصبور:

الصوت الصارخ في عمورية
لم يذهب في البرية
سيف البغدادي الثائر
شق الصحراء إليه .. لباه
حين دعت أخت عربية .
وامعتصماه
لكن الصوت الصارخ في طبرية
لباه مؤتمران
لكن الصوت الصارخ في وهران
لبته الأحزان

* * * *

الرواية الفلسطينية*

بدأ تطور الرواية في فلسطين في بدايات العشرينيات من القرن الماضي، وأول رواية فلسطينية صدرت كانت للكاتب الفلسطيني خليل بيدس باسم (الوارث) ويتحدث فيها عن الشخصية اليهودية وانتشارها في الوطن العربي وكيف يستغل اليهود كل الوسائل غير النظيفة من أجل الوصول إلى أهدافهم، وقد استخدم (اليهود) في هذه الرواية النساء وسيلة للوصول إلى ابتزاز الأثرياء العرب في القاهرة.

أما الرواية الثانية فكانت للكاتب الفلسطيني إسحاق موسى الحسيني باسم (مذكرات دجاجة) 1943 يتحدث فيها الكاتب عن الصراع بين سكان البلاد الأصليين في فلسطين وبين القادمين إليها أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد كتب روايته بالرمز، وهي عبارة عن دجاجات بلديات مقيمة في أرضها تعيش بهناء دون أية مشاكل ، وعند حضور بعض الدجاجات الأجنبيات إلى المكان تم استقبالهم كضيوف ، وبعد ذلك بدأت الدجاجات الأجنبيات استدعاء أقاربهم للحضور إلى البلاد ، وعندما كثروا بدأوا يطالبون بأحقيتهم في الأرض ،فبدأ الصراع بين الدجاج البلدي والأجنبي وهذا يعكس ما كان يحدث في فلسطين في تلك الفترة.

هاتان الروايتان فقط صدرتا في فلسطين قبل النكبة، أما بعد النكبة فقد اختلف الموضوع الروائي وأصبح يتحدث عن النكبة وآثارها السياسية و الاجتماعية والنفسية و عن الصراع على الأرض فقد كتب صلاح الدين النشاشيبي روايته (حفنة رمال)1965 ويتحدث فيها عن الصراع بين المستوطنين وبين أهالي القرى الفلسطينية وكيف أعطى الاستعمار البريطاني هؤلاء اليهود أرضا مجانا، لإقامة مستوطنة عسكرية عليها ، لكنه لم يعجبهم ذلك لأن قطعة الأرض صغيرة في نظرهم ، فأرادوا شراء الأراضي المجاورة لها، وهذا أوجد صراعا مريرا بين أصحاب هذه الأراضي واليهود القادمين من أوربا، وقد لجأ اليهود إلى اغتيال من يرفض بيع الأرض أو من يقود الأهالي لعدم بيع الأرض إلى اليهود .

*: د. محمد البوجي

ومن أهم الروايات التي صدرت في فلسطين في بداية الستينيات للكاتب غسان كنفاني:

1- رجال في الشمس سنة 1962

2- ما تبقى لكم سنة 1966

3- عائد إلى حيفا سنة 1969

4- أم سعد سنة 1969

إلى أن تم اغتياله في بيروت سنة 1972 على يد رجال الموساد الإسرائيلي بتفجير سيارته.

تلخيص أهم رواياته:

الرواية الأولي (رجال في الشمس)

وتدور حول ثلاث شخصيات هاجرت تحت قصف الطائرات والمدافع الصهيونية عام 48وأقاموا في أحد مخيمات اللاجئين على الحدود في فلسطين، وكانت لكل شخصية منهم قضية سياسية أو اجتماعية أو نفسية، وقد كانت الحياة في المخيمات حيث لا ماء ولا طعام ولا عمل ولا بطاقة هوية ولا جواز سفر فالحياة شبه مستحيلة، مما دفع كثيرا إلى مغادرة المخيم للبحث عن السعادة في وطن بديل فلا أمل للخروج من هذا المأزق، فالحياة سوداء وليس أمامهم من خروج إلا دول الخليج، هؤلاء الأشخاص الثلاثة خرجوا من المخيم إلى البصرة في العراق للسفر إلى الكويت بطريق التهريب لأنهم لا يملكون جواز سفر ولا بطاقة هوية ، وفي البصرة تعرفوا على سائق شاحنة يوصل المياه العذبة من البصرة إلى الكويت وكان هذا السائق يهرب الناس مقابل أموال فاتفق مع هؤلاء الثلاثة على أن يوصلهم إلي الكويت مقابل ٢٠ دينارا لكل شخص منهم، فصعدوا إلى جوار السائق وعندما وصلوا حاجز الحدود العراقية انتقلوا إلي داخل الخزان الفارغ من الماء إلى أن قام السائق وختم الأوراق واسمه (أبو الخيزران) وبعد الانتهاء من ختم الأوراق عادوا للجلوس إلى جوار السائق، أما على الحدود الكويتية فقد استغرق ختم الأوراق وقتا طويلا بينما الثلاثة قابعون في الخزان ومعروف.

إن (أبو الخيزران) لا يصلح للنساء فقد أصيب في حرب النكبة برصاص الصهاينة، عندما كان يقود سيارة عسكرية، فأخذ الجنود الكويتيون يمزحون معه ونسي أن في الخزان ثلاثة أشخاص ثم عاد إليهم ووجدهم قد ماتوا فألقاهم خارج الخزان على مزبلة في الصحراء وهو يصرخ في وجوههم لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟

الرواية الثانية (ما تبقى لكم)

تدور أحداثها حول أسرة فلسطينية تشتت أفرادها وتوزعوا أثناء حرب النكبة، فأقامت الأم مع أهلها في مخيمات الضفة الغربية التي سميت غربي الأردن فيما، بعد بينما ذهب الزوج وابنه حامد وابنته مريم إلى مخيم اللاجئين في قطاع غزة، واستشهد الأب عندما اعتدى اليهود على محطة غزة سنة 1955 ولفوه بمعطف ملوث ودفنوه، وبقي حامد مع أخته مريم بلا قوة وبلا عمل فسقطت أخته مريم بين يدي رجل متعاون مع اليهود عام 56 لأنه وفر لها لقمة الخبز والحماية، فكان حامد يصرخ دائما وهو شاب صغير أمي.. أمي. فأراد أن يذهب إلى أمه في الضفة الغربية، ولكنه قبل أن يذهب إليها أراد أن يغسل العار الذي لحق به، فقتل أخته مريم وقتل معها الرجل الساقط زكريا، ثم ترك قطاع غزة متجها إلى الأردن عبر صحراء النقب وبعد منتصف الليل أراد أن يرتاح من التعب، فبينما هو مستلقي كانت دورية إسرائيلية تمر في المنطقة، وقد تاه عنها جندي إسرائيلي فاصطدم هذا الجندي بالشاب حامد وكانت المواجهة بينهما، حامد يرفع سكينا والجندي الإسرائيلي يرفع سلاحه. وهي بداية للمواجهة الحقيقية على أرض فلسطين بدلا من الموت المجاني في الصحراء العربية.

هذه أهم الروايات التي عالجت موضوع النكبة وكيفية التمرد على الوضع المأساوي في المخيمات وما وصل إليه حال الشعب الفلسطيني من ضياع، ثم حدثت هزيمة 67 وهي غير متوقعة مما أدى إلى تسرب كل الآمال في العودة إلى فلسطين، وأصبح الهم الفلسطيني هو إزالة الاحتلال الإسرائيلي من الأراضي العربية، وتلاشي الحلم في العودة إلى المجدل ويافا.

ومن الموضوعات التي طرحت في الرواية الفلسطينية بعد 67 هي الثورة المسلحة بفكر جديد وقيادة جديدة، ثم عودة بعض الفلسطينيين إلى قراهم وبيوتهم بتصريح إسرائيلي، وكيف يكون هذا اللقاء؟!

الرواية الثالثة (عائد إلى حيفا)

وفيها يلخص الكتاب الروائي غسان كنفاني قضية العودة الموهومة إلى فلسطين ويتجلى ذلك في تلخيص الرواية:

تذكر(سعيد س) وزوجته (صفية) أنهما تركا طفلا صغيرا في البيت في حيفا، وغادرة البلاد إلى مخيمات لبنان عام 1948، دون أن يفكرا في كيفية العودة إلى هذا الطفل، أو استعادته، أو حتى السؤال عنه ، وبعد الحرب عام 67 وفتح الجسور بين الدول العربية والأراضي المحتلة وإسرائيل حصلا على تصريح زيارة ، وفعلا وصلا إلى البيت ليبحثا عن ابنهما خلدون وبعد أن وصلا طرقا الباب فخرجت لهما سيدة يهودية اسمها (مرام) وهي يهودية قادمة من بولندا فطلبا منها شربة ماء، ثم سألاها وقد بدا الخوف على وجهيهما، فأدركت اليهودية أنهما عرب، وأنهما أصحاب البيت الأصليين ،فسمحت لهما بالدخول فنظرت صفية إلي بيتها القديم فوجدته كاملا. لا جديد فيه ولا نقص، فهو عفش الزوجية الأول وكذلك رأت سريرا صغيرا فسألت أنها تركت في هذا السرير طفلا عمره 5 أشهر فقالت السيدة اليهودية نعم : اشتريت هذا البيت من الوكالة اليهودية وأخذت معه الطفل وقد أسمته (دوف) فطلبت صفية رؤيته، فأخبرتها بأنه ضابط في الجيش الإسرائيلي وإن اليوم إجازته وهو قادم بعد ساعة، وعند دخوله البيت كان يلبس البزة العسكرية ويحمل سلاحه ويضع على رأسه كوفية يهودية فسأل من هؤلاء ، أجابت مريام أن هذه أمك، وهذا أبوك، جاءا يأخذانك معهما، فانتفض خلدون (دوف) منفعلا في مشهد روائي رائع جدا وأخذ يعلمهما معني الأبوة وأنهما لم يفكرا طوال عشرين عاما في السؤال عنه، أو في التفكير باستعادته، فقد كنت صغيرا أحتاج إليكم فلم أراكم، أما الآن فلست بحاجة إلى أحد ، إنني أذهب إلى الكنيس وآكل الكوشير. فإن الإنسان ليس جواز سفر أو بطاقة هوية إنما هو قضية، وطلب منهما الخروج.

أثناء العودة قال (سعيد س) لصفية ألم أقل لك أن العودة إلى حيفا تحتاج إلي حرب، وليس إلى تصريح إسرائيلي، وأن خلدون هو عارنا، أما خالد فهو أمل المستقبل، ولذلك ينبغي عليه أن يلتحق بالفدائيين لتحرير الوطن.
وفي العام نفسه صدرت رواية سداسية الأيام الستة لا ميل حبيبي ويتحدث فيها عن الالتقاء بين الشعب الفلسطيني المقيم عام 48 في وطنه، والطرف المشرد في الدول المجاورة وكيف كان اللقاء بعد الهزيمة.؟

كذلك أصدر غسان كنفاني روايته أم سعد ويتحدث فيها عن المرأة الفلسطينية التي خرجت من مرحلة التبعية للرجل إلى مرحلة الثورة، وبناء الثوار ومساعدتهم مساعدة فعلية، فكانت أم سعد تجمع الأموال والطعام وتذهب إلى منطقة الحدود لتطعم الفدائيين، وفي منطقة الحدود زرعت غصن دالية جاف وأسقته قليلا من الماء، ومن الأقوال المشهورة في هذه الرواية على لسان أم سعد (خيمة عن خيمة تفرق)، أيضا قولها (لقد برعمت الدالية) وهو رمز التفاؤل بالمستقبل لأن من يزرع شيئا يحصد. ومن الروايات الفلسطينية المهمة أيضا:

للكاتب إميل حبيبي:

1-سداسية الأيام الستة

2-الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل

3- إخطية

4- سرايا بنت الغول

جبرا إبراهيم جبرا:

1-صيادون في شارع ضيق

2- صراخ في ليل طويل

3- السفينة

4- البئر الأولي (سيرة ذاتية عن حياته في القدس ورام الله)

5- البحث عن وليد مسعود

6- عالم بلا خرائط

7- الغرف الأخرى

يحيى يخلف:

1- نجران تحت الصفر

2- نورما ورجل الثلج

3- تلك المرأة الوردة (المجتمع الفلسطيني في طبريا قبل النكبة)

4-نشيد الحياة (الكرامة وحرب الكرامة)

5- بحيرة وراء الريح

6- تلك الليلة الطويلة

7- نهر يستحم في البحيرة

عزت الغزاوي:

1-الحواف

2- عبد الله التلالي

3- جبل نبو

4- الخطوات

صافي صافي:

1-الحاج إسماعيل

2- الحلم المسروق

3- الصعود ثانية

4 – اليسيرة

إبراهيم الزنط (غريب عقلاني)

1-الطوق

2- النورس يتجه شما

3- الخروج عن الصمت

4- جفاف الحلق

5- نجمة النواتي

عبد الله تايه:

1- العربة والليل

2- الذين يبحثون عن الشمس

3- التين الشوكي ينضج قريبا

4- وجوه في الماء الساخن

5- قمر في بيت دراس

محمد أيوب:

1- الكف تناطح المخرز

2- الكوابيس تأتي في حزيران (حرب حزيران 67)

عبد الكريم السبعاوي:

1- العنقاء

2- الغول

3- الخل الوفي

4- طائر البرق. ويتحدث فيها عن الألوهية في نظام الحكم في الوطن العربي، وفيها أيضا تعليم الناس كيف يختارون الحاكم وأهم سمات هذا الحاكم الجديد.

سحر خليفة:

1-لم نعد جواري لكم

2- باب الساحة

3-عباد الشمس

4-الصبا

5-ميراث

ليانة بدر:

1- نجوم أريحا

2-عين المرآة

3-بوصلة من أجل عباد الشمس

4-شرفة على الفاكهاني

ومن الروائيين المهمين أيضا في فلسطين:

1-خضر محجز

2-زكريا محمد

3-أحمد رفيق عوض

4-أحمد حرب

5-حليمة جوهر

6-جمال بنورة

7-رجب أبو سرية

8-عاطف أبو سيف

9- د. علي عودة

10-زيد أبو العلا

11-حبيب هنا

12-زكي العيلة

13-علي الخليلي

14-رشاد أبو شاور

15-أحمد عمر شاهين

16-وليد أبو بكر

17-فيصل حوراني

18-أفنان القاسم

19-هيام رمزي
20-امتثال جويدي
21-توفيق فياض
22-فاضل يونس
23-زكي درويش
24-محمد نفاع
25-محمد علي طه
26-محمود شقير
27-رجاء بكرية